

دكتوره هدى درويش

أسرار اليهود التنصريين في الأندلس

دراسة عن اليهود المارنواس



Ref 2412008
UCBR(5)

أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس

(دراسة عن اليهود المارنواس)

دكتورة هدى درويش

معهد الدراسات الآسيوية - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

م ٢٠٠٨



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

بطاقة فهرسة

درويش ، هدى
 أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس :
 دراسات عن اليهود المارنواص / هدى درويش
 - ط١ - الجيزة : عين للدراسات والبحوث
 الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨ .
 ١٢٨ ص : ٢٤ سم
 تدمك ٩٧٧ ٣٢٢ ٢٣٤٩
 ١- اليهود - تاريخ
 أ- العنوان

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى
 د . شوقي عبد القوى حبيب
 د . قاسم عبده قاسم
 المشرف العام :
 د . قاسم عبده قاسم
 المدير التنفيذي :
 شريف قاسم
 مدير الانتاج :
 جمال عابد
 تصميم الغلاف: د. منى العبسى

© حقوق النشر محفوظة

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - جم.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

web site: WWW.Dar-Ein.com / E-mail : dar_Ein@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِن تُخْفِوْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْدِوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾

صدق الله العظيم





DS
135
S 7
D 37
2009

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

مارانوس لفظ أطلق على طوائف من اليهود ظهرت في إسبانيا والبرتغال، حيث أجروا على دخول المسيحية وقت الحكم المسيحي الكاثوليكي؛ فاعتنت코ها بهدف البقاء في البلاد والحفاظ على ممتلكاتهم، بعد سقوط الحكم الإسلامي. حيث مثلوا طبعتين متناقضتين، وشخصيتين متبایتين فكريًا وعقائديًا وحياتيًا، مسيحية تسعى للاندماج مبتعدة عن أصولها اليهودية في الظاهر، وأخرى يهودية مستخدمة كافة وسائل التخفي لإقامة الشعائر اليهودية في الباطن.

عاشت طوائف المارانوس أشبه ما تكون جماعات تجسسية واستخباراتية غير تقليدية للبلاد، وشكلت من استثمارها التجارية جماعات ضغط على تلك البلدان.

ولا ريب في أن مكمن الخطورة في ظهور هذه الطائفة اليهودية المتنصرة لا يقتصر فقط على عدم الانتماء الوطني، والاندماج في السلام الاجتماعي في البلدان التي يعيشون فيها، وإنما حاجة هذه الجماعات بصفة دائمة وملحة إلى الانتماء إلى شبكة ممتدة حول العالم من اليهود الذين يرتبطون بدولة المركز وعقيدتها.

فقد كانت هذه الطوائف على اتصال دائم باليهود في جميع أنحاء العالم، فقلما نجد يهودياً في الشرق لا يعرف أحوال أخيه اليهودي في الغرب، كما نجد هؤلاء المتشدرين الذين عاشوا يهوداً في وجدهم، مظهرين عبادات وشعائر أخرى مختلفة - أقراؤاً ظهروا في التاريخ في كل مكان في العالم، ومثال على هذا يهود الدوحة (الشبايون) الذين عاشوا في تركيا - بعد طردهم من إسبانيا - واتخذوا من الإسلام ستاراً يخونون به هويتهم اليهودية الحقيقة، فكانوا مسلمين في الظاهر، يصومون ويصلون ويحجون، بينما مارسوا يهوديتهم في الباطن يذهبون للمعابد، ويقيمون شعائرهم وطقوسهم اليهودية بشكل سري.

وعلى الرغم من بعد المسافات بينهما - حيث عاش المارانوس اليهود في أوروبا، وطوائف الدوحة في آسيا - واختلاف الديانة التي دخلها كل منها إلا أنه كان يربط بينهما - وأيضًا مع غيرهما من الطوائف اليهودية في مختلف البلدان - اتصالات وعلاقات، جمعتهم وحدة الأهداف والأغراض التي يسعون إليها.

وقد جاء اختيار هذه الدراسة بهدف التعرف على أساليب تلك الفئات من اليهود المتنصرين ، وقدرها على التكيف في مجتمعات مغایرة ، والتعايش معها حق لو اضطرت في سبيل ذلك إلى تغيير عقیدتها في الظاهر درءاً لمخاطر التهجير والإبعاد والإقصاء من إسبانيا والبرتغال زمن الحكم المسيحي الكاثوليكي .

وتعد هذه الدراسة من الدراسات والبحوث العلمية التي ما فتئت تلح في طلب المعرفة لكل المسكون عنه في التاريخ ، وسبر أغوار القضايا والإشكاليات التي تستدعي التزاءات الطائفية ، وبحث السبل عن حلول لهذه المعضلات .

وهيتم الدراسة بالكشف عن الأساليب والطرق التي تعتمد عليها هذه الجماعات لضمان وسائل التخفي والاندماج والعيش مع الديانات والمذاهب المغایرة ووسائلهم الفكرية في التغلغل إلى المجتمعات لتحقيق أغراضهم . بما يجعلها تبدو في الظاهر وكأنها طبيعية ولا تشکل قلقاً أو توترة يفسد عليها مخططاتها .

وتتحدد الاتجاهات المنهجية هذه الدراسة فيأتي المنهج التاريخي على رأسها الذي يستخدم مجموعة من الأدوات الدقيقة والإجراءات التي تهدف إلى الوصول إلى الحقائق النسبية وليس المطلقة انطلاقاً من الأحداث والشخصيات التي تحدد الحقيقة والمعلومة تحديداً نسبياً، كما تتبع الدراسة المنهج التحليلي لإعادة النظر في الأحداث المعلنة للثبات من الأسباب والنتائج الواردة في ثنايا التاريخ ، وذلك من أجل توظيف الماضي لتحديد رؤى المستقبل . وبالإضافة إلى المنهجين السابقين تتبع الدراسة المنهج الاستقرائي الذي يغلب عليه التحليل والتركيب المرتبط بالتطور الاجتماعي والسياسي لجماعة المارانوس اليهودية في المجتمعات غير اليهودية .

وتدخل هذه الدراسة ضمن الدراسات المقارنة التي تعتمد على توصيف وتحليل الجوانب التاريخية والقانونية ليهود المارانوس وتوضيح علاقة هؤلاء اليهود بال المسيحية ، ومدى قبول كل منها للآخر.

والأجل فهم حقيقة هؤلاء المتنصرين نطرح عدة أسئلة وهي :

- ما هي الأسباب التي دعت إلى ظهور تلك الطائفة التي جمعت الطبيعتين اليهودية والمسيحية ؟

- كيف استطاع المتصرون إقناع الخيطين بهم أنهم خرجوه عن دائرة عقيدتهم الأصلية ؟
 - ما هي الوسائل التي اتبعوها من أجل الاندماج في المجتمعات المسيحية ؟
 - ما هي الوسائل السرية التي اخذوها لاخفاء ممارستهم لطقوسهم اليهودية ؟
 - هل استطاعوا المحافظة على عقيدتهم اليهودية ؟
 - ما هو موقف الأوساط المسيحية تجاههم ؟
 - ما هو موقف الحاخامية اليهودية منهم ؟
 - ما هو مدى علاقتهم باليهود الآخرين خارج مجتمعاتهم ، على كافة المستويات الدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ؟
 - ما هو موقف النخب اليهودية المتصورة تجاه أهل ملتهم اليهود سواء أكانت معادية أو مدافعة عنهم ؟
 - ما مدى قبول اليهودية طفلاً المتصرين ؟
 - ما هو موقف الشريعة اليهودية تجاه صلاحية زواجهم سواء كان من الأجانب أو اليهود ؟
 - ما هو موقفهم الحالي من اليهودية وموقف اليهودية منهم ؟
- وتعتري هذه الدراسة بعض الصعوبات نظراً لندرة المصادر والمراجع التي تتناول العقائد السرية الخاصة بالمارانوس اليهود وتتنوعها، وطرق عبادتهم ، الظاهرة منها والخفية .
- وقد تم الرجوع إلى عدد من المصادر والمراجع العبرية الأصلية لتوضيح فكر هذه الجماعات المتصورة ذات الأصل اليهودي حيث تفردت الدراسة لأن تكون الأولى من نوعها والتي تبحث وتكتشف حياة هذه الطوائف وتفنيدها عقائدها ومارساتها عبادتها وشعائرها .
- والباحث ينقسم إلى تمهيد وأربعة فصول :
- يشتمل التمهيد على جذور : التنصير اليهودي في الأندلس وذلك من أجل الوصول إلى وسائلهم في تحقيق أهدافهم طبقاً للتطور الزمني والمكان والسلوكيات التي حدّدت اتجاهاتهم.
- الفصل الأول يحمل عنوان : المارانوس اليهود ومعضلة التحول إلى المسيحية، ويتضمن التعريف بهذه الطوائف وتسمياتهم ومعناها بين الشعوب التي عاصرت فترة ظهورهم .
- وينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

يتضمن المبحث الأول : آليات القوة اليهودية فترة العصور الوسطى على المستويات المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على اختلاف نواحيها .

ويتحدث المبحث الثاني عن : ردود الفعل الرسمية والشعبية المسيحية تجاه هؤلاء المتنصرين ، الإيجابية منها والسلبية .

ويتناول المبحث الثالث : الممارسات التي قامت بها محاكم التفتيش لأجل تحويلهم القسري إلى المسيحية في إسبانيا والبرتغال .

والفصل الثاني بعنوان : المارانوس بين الظاهر المسيحي والباطن اليهودي .

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ويتضمن طرق ممارسة المتنصرين للشعائر المسيحية .

والمبحث الثاني ويشتمل على : كشف وسائل وأساليب المتنصرين في إخفاء عقائدهم وشعائرهم اليهودية .

ونتناول في المبحث الثالث : النخب والشخصيات المتنصرة واتباعها طرق المهادنة للمسيحية ومعاداتها لأبناء جلدتها .

والفصل الثالث بعنوان : معضلات الدمج والنبذ بين المارانوس ونظرائهم في أنحاء العالم .

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث .

يتضمن المبحث الأول علاقة المارانوس اليهود بالحركات المسيحانية التي صاحبت هذه الفترة .

والمبحث الثاني يتضمن : موقف الحاخامات والمرشعين اليهود تجاه المارانوس وخاصة فيما يختص بأمور الزواج .

ويأتي المبحث الثالث في ختام الدراسة ويتناول : موقف هؤلاء المارانوس الحالي من اليهود واليهودية .

ونخلص في النهاية إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

تهـيد

جذور التنصير اليهودي في الأندلس

في عام ٧٠٠ م وقبل دخول المسيحية أوروبا كان اليهود يستوطنون أوروبا ، وعندما هدم الرومان المعبد في أورشليم ، سبوا آلافاً من اليهود وباعوهم في أوربا ، إلا أن أغنياء اليهود اشتروهم ثم قاموا بعتقهم ف تكونت جاليات يهودية تعيش في أحياط خاصة بهم في أنحاء العالم تصور بأسوار يغلقوها عند غروب الشمس ، وكانوا يعتمدون التجارة وبعض الحرف ويحرصون على امتلاك الأراضي ^(١) . وكانت أكبر جالية يهودية هي تلك التي عاشت في إسبانيا .

وعندما دخلت المسيحية أوربا بدأ العداء بين اليهود واليسوعيين الذي اشتد باعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية في القرن الرابع الميلادي ، في ذلك الوقت شعر المسيحيون بخطر اليهود عليهم وعلى دينهم ، حيث عارضوا احتكار اليهود للثروة وجمع المال وأمور الربا الفاحش التي مارسوها إلى جانب الرشوة . فعاملوا اليهود كجالية تفرض عليها الضرائب ، كما سنوا عدة قوانين تفرق بين اليهود وغيرهم ^(٢) .

وقد صدرت عدة قرارات من الجانب المسيحي قنطرة استخدام اليهود في الأعمال ، وتؤكد ضرورة عقد أي عبد مسيحي يملكه يهودي ، إضافة إلى منع زواج المسيحيات باليهود ، ومنع اختنان ، وحرمان اليهود من مزاولة شعائرهم الدينية ^(٣) . كما صدرت قرارات بحرق وقتل ورجم كل من يؤدى شعائر غير مسيحية ، مما اضطر بعض اليهود إلى اعتناق المسيحية ، وإقامة شعائر الدين المسيحي وأكل لحم الخنزير لإثبات صدق تصرهم . وظلت تصدر القرارات المسيحية ضد اليهود والتي تقضى بتسليم كل اليهود – سواء من اعتنق المسيحية منهم ومن لم يعتنقها – وكافة ممتلكاتهم إلى المسيحيين ، وبذلك أصبح اليهود مستعبدين لدى المسيحيين ^(٤) .

^(١) عبدالغيد ، محمد بحر ، اليهود في الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٦ ، ٧.

^(٢) المرجع نفسه ، ص ١٠ ، ١١ .

^(٣) نفسه ، ص ١٦ .

^(٤) برترن يواكيم : بابوات من الحى اليهودى ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، دار حسان ، ١٩٨٣ م ، ص ١٧ . وبرترن يواكيم حاخام يهودي صهيوني عاش في بدايات القرن العشرين .

وفي عام ١٩٨٥ بدأ الاضطهادات ضد اليهود و تجلت في القرارات التي أصدرها المجلس الكنسي في طليطة وكانت كالتالي :

- ١- منع استخدام اليهود للمسيحيين في أي نوع من الأعمال .
- ٢- ضرورة عتق أي عبد مسيحي ملوك ليهودي .
- ٣- فصل كل اليهود الذين في خدمة الحكومة ومراقبة عدم تعينهم مستقبلاً .
- ٤- منع زواج المسيحيات باليهود .
- ٥- منع الختان الذي كان يفرضه اليهود على عبيدهم وخدمتهم ومعاقبة أي يهودي يفرض الختان على خدمته وعبيده بمصادره أملأكه .

٦- ضرورة تعليق اليهودي شارة مميزة في مكان ظاهر حتى يعرفه الجميع ^(١) .
وعلى الرغم من صدور تلك القرارات إلا أنها لم تكن نافذة نتيجة لتشجيع الحكام الكاثوليك لليهود لأجل مصالحهم حتى وصل الأمر إلى استهزاء اليهود بالمسيحيين ، وخاصة في عيد البوريم الخاص باليهود حيث كانوا يحرقون فيه صليباً كوع من الاستهزاء بال المسيحية ^(٢) .

وفي سنة ١٩٣٦ أصدر المجلس الكنسي قرارات أخرى في طليطة جاء فيها :

- ١- يتحتم على كل يهودي أن يسلم أبناءه عند بلوغهم السابعة للكنيسة ل تقوم بتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية .

٢- يسلم كل يهودي ارتد عن المسيحية لأحد المسيحيين ليتخرجه عبداً .
غير أن تنفيذ هذه القرارات لم يأخذ طابع الحزم كذلك . على الرغم من استمرارية رجال الكنيسة في التفكير لتضييق الخناق على يهود إسبانيا ^(٣) .

وبعد هذه القرارات المضادة لليهود من الجانب المسيحي تعهد اليهود أن يتحولوا إلى المسيحية إلا أنهم ظلوا علي ممارسة شعائرهم اليهودية سراً ، ولما رأى المسيحيون أن اليهود

^(١) محمد بحر، مرجع سابق ، ص ١٤ .

^(٢) المرجع نفسه ، ص ١٥ .

^(٣) محمد بحر ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

لا يوفون بعهدهم أمرموا بتسليم كل اليهود - سواء من بقي على دينه أو تحول - ليكونوا عبيداً للمسيحيين ومصادرة جميع ممتلكاتهم، وظل هذا الحال حتى دخل الإسلام إسبانيا^(١). ونتيجة لتلك المعاملة التي واجهها اليهود من الجانب المسيحي ، فقد لقى الفتح الإسلامي للأندلس بقيادة طارق بن الوليد عام ٧١١ ترحيباً كبيراً من جانب اليهود حيث هاجر كثير من يهود أوروبا إلى الأندلس وتجمعوا في قرطبة وطليطلة وإشبيلية وسراقتطة وخصصوا إحياء خاصة بهم هناك^(٢).

وعند دخول الإسلام الأندلس قام اليهود بتقديم مساعدات فعالة للعرب المسلمين ، وكانوا يعرضون على قائد الجيش الإسلامي خدمتهم ، حيث توأموا حراسة المدن المفتوحة وتأمينها . وعندما استقر الحال للMuslimين منحوا اليهود حريات غير مسبوقة ، فعاشوا فترة تعد غوجاً عظيماً للمعاملة الحسنة بين أصحاب الحكم ورعاياهم من أصحاب الديانات الأخرى ؛ فانتعش الاقتصاد اليهودي أمّا انتعاش خلال القرن الأول للفتح الإسلامي ، وبزغت نجمة فكرية وأدبية عبرية نتيجة للرخاء الاقتصادي الذي تتمتع به اليهود^(٣) . حيث جمع اليهود خلال العهد الإسلامي أموالاً طائلة، حتى إنهم كانوا يرسلون الأموال إلى اليهود القراء من خارج إسبانيا^(٤) .

وخلال العهد الإسلامي أنشأ اليهود مراكز ثقافية ، خاصة في قرطبة ، وانكبوا على دراسة العلوم العربية إلى جانب العربية^(٥) .

ومن أبرز علماء اليهود الذين بزغوا في القرن العاشر فترة العهد الإسلامي في الأندلس حسدياي بن شبروط^(٦) الذي كان وزيراً للمالية وسفيراً ، وعين طبيباً بقصر أمير المؤمنين

^(١) نفسه ، ص ١٧ .

^(٢) نفسه ، ص ٢١ .

^(٣) عبد الرحيم ، محمد بحر ، مرجع سابق ، ص ١٣ ، ٢٠ .

^(٤) نفسه ، ص ٢١ .

^(٥) نفسه ، ص ٢١ .

^(٦) حسدياي بن شبروط طبيب وسياسي يهودي ، كون حوله مجموعة من علماء اليهود التلموديين . ولد في أسرة ابن عزرا المفقيدة، علمه أبوه اللغات العربية واللاتينية ، درس الطب ، داوى الخليفة من أمراضه ، وأظهر من واسع المعرفة وعظمي الحكم في الأمور السياسية ما جعل الخليفة يعيشه في الهيئة الدبلوماسية للدولة . تردد الخليفة في منحه رسمياً لقب وزير خشية أن يثير عليه التفوس . قام حسدياي بعهاد منصبه بكىاسة أكسيته

عبد الرحمن الثالث (٣٠٠ - ٩١٢ هـ / ٩٦٦ م) وكان أمير المؤمنين يسشتيره في أمور الدولة والتجارة ، واستطاع جمع أموالاً كثيرة ، واشهرت مكتبه بعنوانها بالكتب العربية ، وأنشأ مدرسة للدراسات اليهودية ، وكرمه أمير المؤمنين بأن عينه حاخاماً أكبر ليهود الأندلس ، وكان يقصده شعراء اليهود وأدباؤهم مدحه^(١).

كما اشتهر من علماء اليهود صموئيل بن ناجديلا (٩٩٣ - ١٠٥٥ م)^(٢) الذي كان وزيراً لملك غرناطة. وأبو الفضل بن حسداي^(٣) وكان وزيراً عام ١٠٦٦ في سرقسطة ، وإبراهام بن عزرا (١١٦٧ - ١٠٩٣) المولود في طليطلة ، وشلومو بن جبىرو (١٠٢١ - ١٠٥٢ م)^(٤) في ملقة .

= محبة العرب واليهود واليسوعيين على السواء ، وقد شجع العلوم والأداب ، وجمع حوله الشعراء والعلماء والفلسفه ، ولما مات تنافس المسلمين واليهود في تكريم ذكره (ول دبورانت ، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران ، طبعة بيروت ، ص ٥١). استدعي حسداي إلى قرطبة يهوداً كثرين من الشرق ، وأصبح في قرطبة مركز روحي وديني، ازدهرت فيه الحضارة اليهودية الأندلسية ، ترجم كتاباً في الطب إلى اللغة العربية (فلاح : سلمان ، تاريخ العرب ، وزارة الثقافة والمعارف اليهودية ، أورشليم ، ١٩٦٥ م : ٢١٦/١).

^(١) بحث ، مرجع سابق ، ص ٢٢ ، ٢٢.

^(٢) صموئيل بن ناجديلا على تلمودي وشاعر ، شغل منصب وزير للمالية عام (١٠٢٧ م - ٩٩٣ هـ) ولد في قرطبة عام ٩٩٣ م ونشأ فيها ، جمع بين دراسة التلمود والأدب والعربي ، وكان تاجرًا . لما سقطت قرطبة في أيدي الإسبان انتقل إلى مالقة ، كان أميناً سرّ وزير الملك ، ثم أصبح مستشاره ، وأوصى الوزير وهو على فراش الموت أن يخلفه وبذلك أصبح شموئيل عام ١٠٢٧ م اليهودي الر吉د الذي شغل منصب وزير في دولة إسلامية ، وحظى بهذا اللقب . وازدهرت غرناطة في عهد شموئيل من النواحي المالية ، والسياسية ، والثقافية . وكان عالماً وشاعراً ونابغاً في الفلك والرياضيات اللغات ، وقد ألف عشرين رسالة في التحو (معظمها بالعبرية) وعدة مجلدات في الشعر والفلسفة ومقدمة للتلمود ، ومجموعة من الأدب العربي . كان يقتسم ماله مع غيره من الشعراء ، وأمد بالمال طائفة من الطلاب الشباب ، وأغان الجماعات اليهودية في القارات الثلاث كان وهو وزير الملك وحاخاماً لليهود ، يحاضر عن التلمود . ولقبه بنو ملته - اعتبراً منهم بفضلة - بالنجيد - (الأمير في إسرائيل) ولما توفي عام ١٠٥٥ م خلفه في الوزارة ابنه يوسف بن ناجديلا . (ول دبورانت ، قصة الحضارة : ٥٣/١٣).

^(٣) أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي كان أبوه يوسف بن حسداي بالأندلس من بيت شرف اليهود ، متصرفًا في دولة ابن زجين ، وكان له في الأدب باع ، ونشأ ابنه أبو الفضل هبة علاء وجلدة ذكاء . وذكر أنه عني بالتعاليم وأسلم وساد . islampoint.com/d/3/adb/1/125/725.html - 47k

^(٤) سليمان بن جبىرو (١٠٥٦-١٠٢١) Solomon Ibn Gabirol شاعر وفيلسوف عربي يهودي كتب بعض الأعمال بالعبرية . عاش في إسبانيا الإسلامية (الأندلس) ، وعرف عند العرب باسم أبي أيوب سليمان بن يحيى بن جبىرو . ولد في ملقة ، وكان قيحاً معتل الجسم . نزح إلى سرقسطة حيث تعرّف إلى رئيس الجماعة اليهودية في المدينة الذي قُتل عام ١٠٣٩ . ثم اتجه ابن جبىرو إلى غرناطة ملتحاً إلى ابن نفريلة وانضم إلى

ويهودا آل ليفي (١٠٨٠ - ١١٤٠) وموسي بن ميمون القرطبي (١١٣٥ - ١٢٠٤)^(١)

كل هذه الشخصيات حظيت بمكانة بارزة ومرموقة وعاشت في ظل الحكم الإسلامي الإسباني وكانوا ناقلين لأنماط الحياة الإسلامية ، ونتيجة لعقيدتهم وسلوكياً لهم الأقرب إلى المسيحية ؛ فقد حظوا بشقة الملوك والنبلاء الأسبان الذين استخدموهم كأطباء وعلماء ومصرفيين وموظفين ودبلوماسيين وقائمين على أمور الملوك والنبلاء^(٢) .

=حاشيته . ويُقال إنه مات في ظروف مشابهة لموت يهودا اللاوي . وربما يدل هذا على الجانب الأسطوري في القصة التي تذهب إلى أن عريباً قد قتله . ظهر عدة قصائد عربية على نظام المنشآت ، كما ظهر قصيدة قصيدة تناول النحو العربي على غرار ألفية بن مالك ، وكتب المدائخ في أولياء نعمته . و تعالج قصائد الدينية موضوعات مثل الحب والخمر والطبيعة والشكوى من الزمان والعالم . أما قصائد الدينية ، ف تعالج الموضوعات اليهودية التقليدية مثل البكاء من أجل صهيون . كتب ابن جبريل بعض الأعمال الفلسفية بالعربية كعادة المفكرين العرب من اليهود ، ثم ترجمت هذه الأعمال إلى العربية فيما بعد ، ومنها إلى اللاتينية ، حيث تركت أثراً في الفكر المسيحي . ومن أهم مؤلفاته كتاب ينبع الحياة الذي يبين أثر الأفلاطونية الجديدة عليه . وتنتمي مؤلفاته بأنها خالية من الإشارة إلى اليهودية والعهد القديم ، كما أنها تتناول موضوعات فلسفية ذات صبغة إنسانية في العادة ؛ ولذا كان البعض يتصور أن مؤلفاته من وضع كُتاب مسلمين . وقد اشتراك يباليك في جمع أشعاره ونشرها عام ١٩٢٤.

(١) موسى بن ميمون ، فيلسون يهودي وطبيب ، من كبار اللاهوتيين اليهود في القرون الوسطى ، يسميه الغربيون ميمونيدس . درس العلوم الدينية واليهودية والعربية ، ولد في قرطبة سنة ١١٣٥ م ، وتوفي بمصر ١٢٠٤ م ودفن بطريرية في فلسطين ، تربى في بيته علمية ، وعاش بقرطبة ، ثم نزح إلى مصر ، واستقر في مدينة الفسطاط ، التي أسس اليهود فيها مدرسة لتعليم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضيات والطب والضم موسى إلى هذه المدرسة ، وأصبح من أساتذتها البارزين ، وتلمنذ على يده الكثير من اليهود ، مارس الطب ، وعالج الحكام الأيوبيين ، كما عمل طبيباً لصلاح الدين الأيوبي ، وألف كتباً كثيرة في الطب والفلسفة من أشهرها كتاب (الدلائل الحاترين) ، كما كتب كتاباً في شرح (المشتا) سمي كتاب (السراج) وهو أقدم كتاب عبرى بعد أسفار الكتاب المقدس . وأنشأ مدرسة بالإسكندرية تعد نواة للجامعة العربية التي أنشئت في فلسطين ، ولله في الدين كتاب اسمه (الفرانص) وفيه عرض للحلال والحرام في الشريعة الموسوية . وتلقى رسائله الخاصة ضوءاً على تاريخ اليهود في القرن ١٢ م . ولم يثبت ما أشيع عن اعتقاده الإسلام (عجاج نويهض ، بروتوكلات حكماء صهيون ، دار الاستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص ٥١٤ - ٥١٥) .

(٢) كاسترو : أمير كرو ، إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود ، ترجمة على إبراهيم موف ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٢ م ، ص ٥٤١ . وأمير كرو كاسترو (١٨٨٥ - ١٩٧٢) من أبرز القادة والعلماء الأسبان ، ولد بـ أحدى المدن البرازيلية ، وعمل أستاذاً جامعاً بجامعة مدريد وعدد من الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي القرن الحادى عشر ذاع صيت كثير من اليهود في النحو العبرى ، و كانوا يستخدمون البحور العربية في أشعارهم ، في لوسانيا ^(١) .

تلك الفترة التي عاشها اليهود في الاندلس في ظل الإسلام أطلق عليها اليهود المصر الذهبي (٦٢٦-٦٢٧هـ) وذلك لازدهار اللغة العبرية وآدابها فيها ، حيث استطاع اليهود - في هذه الفترة - أن يؤلفوا كتباً مازالت تعد من أمهات الكتب في اللغة العبرية وآدابها ، ولم يكن لهذا الازدهار الفكرى بين اليهود إلا ثرة من ثمار الحرية السياسية والاقتصادية والأدبية التي حظي بها اليهود تحت حكم العرب الفاتحين للأندلس .

وطوال العهد الإسلامي لم يتم اضطهاد اليهود المقيمين ، أو إجبارهم على الدخول في الإسلام ، ولم يقف ذلك عند حد حرية العبادة ، بل تعداها إلى حرية العمل والتسلك والحياة الحرة الكريمة . وقد استطاع اليهود خلال العهد الإسلامي تحقيق ثروات ضخمة نتيجة استرجاع أراضيهم وأملاكهم التي صادرتها الحكومات المسيحية السابقة ، كما نالوا أعلى المراكز والمناصب التي منحها لهم المسلمون من وظائف مالية وإدارية مهمة في الدولة ^(٢) . وفي طليعة كان العرب واليهود يعملون إلى جانب الأسبان والألمان والفرنسيين والإنجليز والبلقانيين .

وفي القرن الثاني عشر قام اليهود بإحداث هبة شاملة في مجالات الترجمة والفلسفة وانتشرت أعمال أرسسطو طاليس عن طريق الفلسفة العرب وابن رشد وابن سينا تلك الأعمال التي اعتمد عليها التعليم في ذلك الوقت وجع بعضهم الطب مع الفلسفة ومثال على ذلك موسى ابن ميمون أشهر العلماء والفلسفه اليهود الذى مارس الطب في إسبانيا ومصر .

وكانت فلسفة أرسسطو في ذلك الوقت هي رمز العقلانية الجديدة التي بدأت تنمو في العصور الوسطى وقد تطورت وظهرت واضحة في أفكار مارتن لوثر وديكارت أقطاب الإصلاح التصويري التحرري ^(٣) .

(١) بحر، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٢) محمد بحر ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤ .

والحقيقة فإن الامتيازات التي منحت لليهود في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس كثيرة ومتنوعة، لكنها ليست هي موضوع دراستنا التي تقتصر بالوضع اليهودي في البلاد خلال العصر المسيحي الكاثوليكي الذي شهد محاكم التفتيش "אַיִלְקָוּרְדִּיןְגִּירְדִּיןְ" في منطقة إسبانيا والبرتغال ، والأساليب التي اتبعتها اليهود في التعامل معها^(١).

ففي بداية الحكم المسيحي الكاثوليكي للبلاد وبعد نهاية الحكم الإسلامي ، تكونت في الأندلس عدّة ممالك منها قشتالة وأرAGON وغرناطة وأشبانيا وسرقسطة وغيرها ، حيث قام اليهود بإعادة نفس الدور الذي لعبوه من قبل مع المسلمين ، وذلك في سبيل تحقيق مصالحهم ، فقد قاموا بجد المساعدة للمسيحيين من أجل استعادة إسبانيا والتخلص من الحكم الإسلامي ، باعتباره حرباً مقدسة ، الأمر الذي جعل المسيحيين يوطّنون اليهود في المدن المفتوحة ، بينما كانوا يطردون المسلمين منها .

لكن عندما قوى أمر المسيحية الكاثوليكية في البلاد ، ونجحت في طرد المسلمين وإبعاد الإسلام منها ، إزداد الصراع بين اليهود وكل ما هو مسيحي كاثوليكي ، فالسياسي يعتقد أن اليهودي يتطلب دمه لأغراض الطقوس الدينية ، وأنه يقوم بخطف الأطفال المسيحيين ويقوم بقتلهم لهذه الأغراض ، وأنه يتعاون مع العرب المسلمين والتار أعداء المسيحية ، ومن هنا كان عداء أوروبا لهؤلاء اليهود شديداً ، والذى وصل إلى حد التكيل والطرد والسجن ، ومصادرة أموالهم ، فحاول اليهود بسبب هذا الاضطهاد استدارار عطف الشعوب ، وجعل أنفسهم في صورة المعتدى عليه المظلوم . وهناك رأى يقول : إن كثيراً من الناس ساعد اليهود في محاولة إقامة وطن قومي لهم . حتى يتخلصوا من شرورهم وتواجههم في بلادهم^(٢) . وكان العنصر اليهودي هو المفضل عن الإسلامي لدى المسيحي ؛ وذلك لمهاراته في الأعمال الزراعية والإدارية والمالية والعسكرية ، وأيضاً لاستخدامه كعنصر مشارك للجيوش المسيحية على كافة المستويات . وقد ظهر هذا التفضيل للعنصر اليهودي

(1) ד"ר דודיה, "ההקשר הסמור מז העין: על תריצרים ספרותיים של מפגש תלת-תרבותי בימי הביניים", מעממי מו-מז (תשנ"א), עמ' ٩-٢٨

(2) دروיש : هدي ، العلاقات التركية اليهودية وتأثيرها على البلاد العربية ، الجزء ١ ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٢ . ص ٤٠

من خلال السماح لليهود بالسكن داخل المدن ، بينما كان المسلمون يسكنون خارجها - مثلما كان الوضع في سرقسطة عام ١١١٨ م .

ومن أهم أسباب تفضيل العناصر اليهودية على الإسلامية ، أن العنصر الإسلامي في المنطقة كان يشكل قوة كبيرة ، يخشى منها ، وذلك بسبب قوة الدول الإسلامية الخيطية ، والتي كان يمكنها أن تهدى العون للمسلمين في أي وقت ؛ وخاصة القوة العثمانية التي كانت تشكل قوة إسلامية كبيرة في ذلك الوقت^(١) أما الطوائف اليهودية في إسبانيا فكانت تشكل وحدات بشرية صغيرة معزولة ، تابعة للملك مباشرة ويدعون له بالولاء وكان يامكانه القضاء عليهم في أي وقت شاء^(٢) .

وكان اليهود الأسبان منذ بدايات القرن الحادى عشر يتغلبون داخل إدارة البلاد ليمثلوا مصدراً أساسياً للثروة لدى المسيحي ، وكان الصراع دائرياً وقوياً - بين الملوك من جانب ، والكنيسة من جانب آخر - حول الاستفادة من المصدر اليهودي المدر للمال والثروة حيث سمح لأعضاء الطائفة اليهودية ببناء المعابد لممارسة شعائرهم ، واعتلاء الوظائف بهدف تنمية المجتمعات ، واستصلاح الأراضي الزراعية ، كما استخدمو سفراء ومتربجين للتراث العربي^(٣) .

وكان الحكام المسيحيون الكاثوليك يسندون لليهود مهمة جباية الأموال من الفقراء لصالح الأغنياء المسيحيين ، ومن ثم ظهر العداء الشعبي المسيحي لهؤلاء اليهود المفترضين أموالهم حق غيرهم من السادة المسيحيين . أما رجال الدين المسيحي فقد وقفوا موقفاً معارضًا لما يوليه الحكام والملوك الأسبان من مناصب مهمة لليهود ، وقد أدى هذا إلى ظهور صراعات شديدة بين الملك من جانب ، والكنيسة والشعب ورجال الدين من جانب آخر استمرت ما يقرب من أربعين سنة عام^(٤) .

(١) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות)

עימות בין מוסלמים לנצרות.il www.tzafonet.org.il .٢٠٠٧-٣-٢٠

(٢) ظاظا : حسن ، الفكر الديني اليهودي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٥٨ .

(٣) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) .

(٤) كاسترو ، أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٨٣ .

وما زاد من حدة هذا الصراع ان اليهود في القرنين الحادى عشر والثانى عشر كانوا يمتلكون ثلث الأراضى فى مقاطعة برشلونة ، ولم يحق أكثر من السكان المسيحيين الأصليين أنفسهم ، ولكل بلاط ملكى طوائف كثيرة من اليهود تعمل داخله ^(١) . كما برب الدور اليهودى في إسبانيا في علوم الفلك لقرون امتدت من القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر خاصة في عهد الملك ألفونسو العاشر وفي عهد بدرؤا الثالث ملك أرجنون حيث نجد بروز شخصيات يهودية شهيرة في علم الفلك ^(٢) . وكان اليهود يقومون بقراءة الطالع للملوك عند توجيههم ، كما كانوا يقومون بنقل العلوم المخترافية العربية إلى البرتغاليين خلال الفترة من ١٣٧٥ - ١٣٨٥ عن طريق رسم الخرائط ^(٣) . كما أفاد اليهود الأسبان ، الأجانب الذين كانوا يفدون إلى طليطلة بهدف معرفة المخطوطات العربية التي قام بترجمتها هؤلاء اليهود الذين كانوا يعملون في مجال الترجمة والذين كانوا ناقلين للفلسفة والفلك والرياضيات والطب من العرب ^(٤) وكان ذلك على عهد ألفونسو العاشر الذي اهتم كثيراً بالحياة الثقافية في ذلك الوقت ، إلى جانب الاهتمام بالعلم والعلماء اليهود وترجماتهم من العربية إلى اللغة القشتالية ، وخرجت أعمال مهمة مثل كتاب "القوانين" " والتاريخ العام" وهي ترجمات لكتاب يهود مجھولة المؤلف وكان يوضع عليها اسم الملك ألفونسو العاشر ^(٥) . ونتيجة للتغلغل اليهودي في البلاد أصدر الجمع الكنسي الرابع في عام ١٢١٥ قراراً آخر يقضى بحمل اليهود علامة متميزة ليتم تمييزهم عن المسيحيين ، إلا أن اليهودعارضوا هذا القرار وهددوا بالذهب إلى قطاع المور (المسلم) ذات المساحات الشاسعة ، الأمر الذي أدى بالملك فرناندو الثالث وأسقف طليطلة بتقدیم التماس للبابا باللغة القراء ، وقد قبل البابا أونورييو الثالث ذلك الرجاء عام ١٢١٩ ^(٦) .

(١) المسيري ، عبدالوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية ، مجلد ٤ ، جزء ٣ ، باب ٣.

(٢) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٤٢

(٣) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٣٣ .

(٤) نفسه ، ص ٥٤٤ .

(٥) نفسه ، ص ٥٦٠ ، ٥٦١ .

(٦) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٥

وفي عام ١٤١٨ هـ دد الملك أساقفة سرقسطة بقطع المؤن الدورية عنهم بسبب بيان الأسقف الصادر بإغلاق الأبواب والتواجد الخاصة بالمنازل اليهودية التي تطل على الجزء المسيحي للمدينة وارتداء اليهودي زياً خاصاً^(١). وحق القرن الخامس عشر كان في شبه جزيرة أيبيريا ما يقرب من ٧ أو ٨ مليون نسمة ، وكانت أعداد اليهود فيها لا تتجاوز ٢٣٥ ألف ، مما يدل على أن أهمية اليهود تكمن في الأعمال التي كانوا يؤدونها وليس في تعدادهم^(٢).

وخلال القول أن الفترة من القرن العاشر حتى الخامس عشر شهدت إسبانيا سياسياً مسيحياً إسلامياً يهودياً وكل منهم كان يؤثر في الآخر تأثيراً لا يمكن فصله عن بعضه^(٣)

(١) نفسه ، ص ٥٧٦.

(٢) نفسه ، ص ٦٤٩.

(٣) نفسه ، ص ٥٣٨.

الفصل الأول

المارانوس اليهود ومعضلة التحول إلى المسيحية

بدأ ظهور ما يعرف بـ المارانوس (اليهود المتتصرون) في عام ١٣٩١ م حينما قامت المظاهرات والاحتجاجات الشعبية المسيحية ضد ممارسات اليهود في الدولة ، نتيجة لاستحواذهم على المناصب المهمة في البلاط الملكي ، وغلقهم للأعمال المهنية والحرفية في البلاد ، وسيطرتهم على النشاط التجاري والمالي ، وتدخلهم في المالك الأكبر الحيوية بالدولة الخاصة بالمسيحيين ، إلى جانب استخدامهم الربا والرشوة في المجتمع ، حيث ظهروا بشكل التفوق على المسيحي ، وهذا فقد أصدرت الحكومة ضدهم أحكاماً إما بالموت أو الصلب ، ومن ثم بدأت تنشأ في البلاد موجة من أعمال العنف ، نتج عنها قتل وإصابة كثير من اليهود مما أدى إلى تنصر أعداد كبيرة من اليهود .

ونتيجة لتصاعد اضطهاد اليهود من جانب المواطنين المسيحيين، ترك العديد من اليهود إسبانيا، ومن بقي منهم قاموا بغير عقيدتهم للمسيحية ، حيث تكونت لديهم هويسان ، اليهودية الأصلية الباطنية ، والأخرى المسيحية الشكلية والتي قادتهم إلى الخيانة ، ظهر منهم من خان إخوانه أبناء دينه من اليهود حفاظاً على مركزه ، ومنهم من طاردهم ، ومنهم من أوحى بإنشاء محاكم التفتيش ضدهم ^(١) . ومن ناحية أخرى قام اليهود بمحاولة التسلل إلى صفوف الرهبان ، فأصبح منهم البطاركة والمطارنة الذين كانوا يظهرون بالتعصب للمسيحية ، بينما ينتشرون مبادئهم اليهودية سراً بين صفوف النصارى ، كما قاموا بمحاولات التغافل إلى حريم ومصارف الشعب الإسباني بقصد التخريب .

ومن ناحية أخرى سادت بين اليهود في تلك الفترة أفكار فلاسفة اليونان - أمثال أفلاطون وسocrates - والتي رأوا فيها أنها مطابقة لقواعد اليهودية وأوامرها ، كما ادعى حاخامت اليهود أن النظريات اليونانية هي نفس ما جاء في دين اليهود ، وأن الفلسفة التي

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٥٠ .

سادت الغرب ، ترجع أصولها إلى اليهود وشريعة التوراة . وكانت نظرية قائم هذه هدف إلى السيطرة والسيادة على الشعوب فصدرت الاتهامات ضدهم بالهرطقة من الجانب المسيحي ، وأصبح مجرد الاحتفاظ بكتاب لأفلاطون أو أرسطو جريمة لا تغفر ، يعاقب عليها القانون ، وقد حدثت هذه الحركة الفكرية خلال القرن الرابع عشر، واستمرت حتى القرن السابع عشر .

وقد بدأ ظهور المارانوس - وهو اليهود الذين اعتنقوا المسيحية - كمصطلح للتعبير عن المستпрرين عموماً ، وهو لفظ يحمل هجوماً واستفزازاً وامتهاناً لمن يطلق عليه هذا اللقب ، إذ أنه يعني "الخنازير" .

مارانوس لغة واصطلاحاً :

عرف اليهود الذين تنصروا فترة الحكم المسيحي الكاثوليكي للأندلس باسم الـ "أنوسيم" אֲנוֹסִים " وهي كلمة عبرية معناها "المضطرون" أو "المكرهون" أو "المغلوبون على أمرهم" ، لأجل تغيير دينهم إلى المسيحية ويسمون بالإسبانية "كونفيرسوس" بمعنى المعتنقين للدين ، وكان البرتغاليون يسمونهم "كريستاووس نوفوس" ويعني المسيحيين الجدد הנזיריים החدشيم^(١) .

كما يشار إليهم باسم التشويتاس (צוותאַטס) ^(٢) في جزيرة مايوركا ^(٣) .

وقد اختلف في أصل الكلمة "مارانوس" ، فقيل إنها تحريف من كلمتين تبدأ بهما صلاة مسيحية بالأرامية، هما "مارن" — آث" (מ ר אַת) ومعناها "أنت مولانا" والخطاب بهما موجه إلى المسيح. حيث كان يفرض على اليهودي الأندلسي الأصل أن ينطق بهما كثيراً لإبعاد الشبهة عن نفسه ، ثم أضافهما التحريف فصارتا "ماراناس" ثم مارانوس . وهنالك رأى آخر يقول أن أصل التسمية بالعبرية هو كلمة "מְוּמֶרֶךְ" (مومار) أي "مارق" وتضاف اللاحقة الإسبانية "אנו" (انو) لتصبح "מְוּמֶרֶךְ אָנוֹ" (مومارنو) ثم صارت "מרנדו" (مارانو) .

(1) האינציקלופדיה העברית כרך רביעי . הוצאת ספרית פועלם . ١٩٨٨ . ע ٣٥٥-٣٥٦ .

(2) تشويتاس Chuetas من الكلمة "تشويبا" وتعني "سلم خمير" بلهجة جزيرة مايوركا ، إحدى جزر الباليدرسك التابعة لإسبانيا ، غير أن هناك نظرية أخرى تذهب إلى أن الكلمة مشتقة من الكلمة "تشوهينا" وتعني "يهودي" بلهجة الجزيرة .

(3) האינציקלופדיה העברית כרך רביעי (أنوسيم) .

وكلمة "مارانوس" في الإسبانية والبرتغالية والفرنسية تعني : المافق ، والخائن ، والمديء ، واللص ، والكذاب ، ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسنة ^(١).

ويرى البعض الآخر أن الاسم "marrano" مارانو يرجع إلى الكلمة العربية محروم "מזהרָם" وهو تعبير يطلقه المسلمون على حيوان الخنزير ^{"הַזְּבָר"} ، فعلى الرغم من أن كلاً من الديانتين الإسلامية واليهودية تحرم تناول لحم الخنزير، إلا أنه تم إطلاق لفظ المارانوس على كل المُنْتَصِرِينَ الذين اعتنقوا المسيحية من خارج البلاد ، بينما أبطنوا دينًا آخر كما أطلقوه أيضًا على كل من يحرم على نفسه تناول لحم الخنزير ^(٢).

وورد في الموسوعة اليهودية في اشتقاق هذا الاسم عدة أقوال : فقيل أنها ترجع إلى «ماترانشا» وهي كلمة إسبانيا معناها «الملعون» ، وأيضاً بمعنى «المُرائي» وهي كلمة عربية معناها «منافق» ، ونجد مرادفًا لهذا المعنى في العبرية بتعبير «مارنيت عين» (מִרְנַיֶּת עֵין) ^(٣) (لذاً) ومعناه «ظاهر للعين»، بمعنى أنه يُظهر المسيحية ويُبطن اليهودية، كما أطلق عليه في العبرية «محورام أتاها» (מזהרָם אֲתָה) ومعناه «أنت مطرود من حظيرة الدين» ^(٤).

ولم يكن هذا المصطلح شائعاً في الأوساط الرسمية، ولم يرد في أي من الوثائق الرسمية ^(٥). وكلمة "مارانو" باللهجة العامية الإسبانية القديمة معناها "الخنزير" ، فتكون "مارانوس" صفة ذم لكل الذين دخلوا الدين المسيحي وهم غير أوروبيين ولا ينحدرون من أصول لاتينية ، ويلاحظ أن ذلك المعنى كان يطلق على العرب الذين ظلوا في الأندلس بعد قيام المسيحية ، ودخلوا المسيحية ^(٦).

(١) ظاظا : حسن : مرجع سابق ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

WWW.wikipedia.org (2)

(3) jewish encyclopedia , Marano

(4) WIKPEDIA.COM

(5) האנציקלופדיה העברית . ג ٣٥٥-٣٥٦

المبحث الأول

آليات القوة اليهودية في إسبانيا والبرتغال

يطلق على اليهود الذين هاجروا إلى شبه جزيرة إيبيريا التي تضم إسبانيا والبرتغال "السفارديم" ^(١) وكانت يتحدثون بلغة اللادينو التي تعتمد على أصول لاتينية إلى جانب بعض المصطلحات العبرية وكانت اللادينو هي اللغة الرسمية في الجامعات والمدارس في إسبانيا في القرون الوسطى وهي مركبة من اللاتينية والاسبانية ^(٢).

وقد سبق القول أن الملوك الكاثوليك ورجال البلاط في إسبانيا اعتمدوا على اليهود كمصدر أساسى للمال، حيث أدى ذلك إلى حدوث صراع حاد بين الملوك من جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر ، بسبب الرغبة في البقاء اليهودى في البلاد ؛ وقد استمر

(1) يطلق اسم سفارد أو صفارد على إقليم لعله آسيا الصغرى ، نقل إليه نبوخذ نصر بعض اليهود في ٥٩٧ م ثم أطلق المفظ بعد ذلك على بلاد إسبانيا - (ول دبورانت ، قصة الحضارة ، ص ٥٠) ، وذكر أيضًا لفظ صفارد في سفر عوبديا ما نصه : "وسي هذا الجيش من بي إسرائيل يرثون الذين هم من الكائنين إلى صرفه ، وسي أورشليم الذين في صفارد يرثون مدن الجنوب ، ويصعد على جبل صهيون ، ليدينوا جبل عيسو ، ويكون الملك للرب (سفر عوبديا) (الكتاب المقدس ، فصل ٢ ، ص ١٣٤ ، طبعة ١٩٩٥ م).

وقد أطلق السفارديم على يهود إسبانيا وهم من نسل قبيلة بنيامين ، والسفارديم يدعون أنفسهم (باراستقراطية) اليهود على الأساس الدينى الذى يتسمون إليه (هدان : جمال ، اليهود أثربولوجيا ، المكتبة الثقافية ١٦٩ ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، شباط - فبراير ١٩٦٧ م ، مرجع سابق ، ص ٢٣).

وفي إسبانيا الإسلامية تأثر اليهود السفاردي في عبادتهم وتلاوهم وتراتيلهم بالذوق العربي ، وإنفردوا بخصوص شعرية ونثرية في أدائهم وصلاتهم وكانت قربة الشبه بما عند المسلمين ، وتم اعتبار عبرية السفاردي اللغة الرسمية للمسرح والإذاعة ، وكانت لغة التعليم في المدارس ، ويهود العالم العربي من السفاردي ، وكانوا في بادئ الأمر يتكلمون العربية حتى القرن ١٣ ثم تكلموا الإسبانية (أخذ سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٧ ، دمشق ، ص ٦٩٩) ؛ كما أن يهود إيران كانوا من السفاردي (حسن ظاظا ، الفكر الدينى الإسرائيلي ، أطواره ومذاهبه ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ، طبعة ١٩٧٥ م ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧)؛ أنشأ السفارديم لأنفسهم حياة خاصة ، وكانت لهم طقوس دينية متميزة ، وكانت أعدادهم في الدولة الشمانية تفوق جميع المعتقدات الدينية الأخرى ، حتى إنهم ترعموا هناك كافة الملل ، (كمال حبيب : المجتمع الإسلامي والغرب ، س.ذ : ٢ / ٣٤٩ ، ٤١١ ، نقلًا عن هاملتون جب وهارولد بوون).

ويتميز السفارديون عن الإشكازيين في النقافة بسبب استخدامهم من العرب في الأندلس . أما الإشكازيون فكانوا منطرين على أنفسهم ، وكانت أعلى الطبقات المرفهة من اليهود من السفارديم ، وكانوا يدعون أنفسهم أرقى ثقافيًّا وأعلى من الإشكازيين (أخذ سوسة ، مرجع سابق ، ص ٧٠٠).

(2) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ٢٣ ، وهدى دروش ، العلاقات التركية اليهودية ، مرجع سابق ، ص ٤٠.

هذا الصراع داخل البلاد بين السلطتين الملكية والدينية على مدى أربعة قرون ، حيث مثل صراعاً بين التقدميين (الملوك والنبلاء) من جانب والرجعيين (رجال الدين المحافظين والشعب) من جانب آخر حول أوضاع هؤلاء اليهود .

قوة اليهود على المستوى السياسي في الأندلس :

كان للتنصر اليهودي جذور قديمة في إسبانيا منذ الحكم المسيحي السابق للإسلام ، ففي عام ١٠٩٦ أثناء الحملة الصليبية الأولى إضطر عدد كبير من اليهود إلى دخول المسيحية والعميد ، وعندما زال الخطر رجعوا إلى اليهودية ، وفي مدينة طليطلة وبعد حمامات الدم التي شهدتها أشبيلية عام ١٣٩١ م تحولت مئات من الأسر اليهودية إلى المسيحية تحولاً ظاهرياً ، إلا أنهم كانوا يختونون أطفالهم سراً ويقيدون بشرائع السبت ويشتغلون يوم الأحد، ويجرون السيدية مريم ويطلقون عليها "الخاطئة" ، وكانوا يدفنون موتاهم حسب الشريعة اليهودية^(١) .

وقد وجد الملوك الأسبان أن الوجود اليهودي يحقق لهم مصالحهم الشخصية، الأمر الذي جعل الملوك يتحونهم حريات وحقوقاً مقابل ما يؤدونه من خدمات للبلاط الملكي ، ومثال على ذلك تلك الحقوق التي منحها لهم الملك ألفونسو العاشر عام ١٢٦٣ حيث حرم قمة الدم "لليلة ٦٧" ^(٢) ، ومنع أيام مضايقة لهم يوم السبت ، أو تعطيلهم عن أداء شعائرهم، حق لو وُجِدَت أسباب قانونية شرعية لذلك ، وكانت غرامة قتل اليهودي تعادل الغرامة التي تُدفع عن قتل فارس أو قس ^(٣) .

(١) برلن بواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) "قمة الدم" "لليلة ٦٧" أو "Blood Libel" وهي إقام اليهود بأفم يقتلون صبياً مسيحياً في عيد الفصح سخرية واستهزاء من صلب المسيح. ونظراً لأن عيدي الفصح المسيحي واليهودي قرييان ، فقد تطورت التهمة وأصبح الاعتقاد أن اليهود يستعملون دماء ضحيتهم في شعائرهم الدينية وفي أعيادهم ، وبخاصة في عيد الفصح اليهودي ، حيث أُشيع أن خبز القطير غير المخمر (لوكا ٢٤) الذي يُؤكل فيه يُعجن بهذه الدماء. وقد تطورت الإشاعة، فكان يُقال أن اليهود يُصطفون دم ضحاياهم لأسباب طيبة أو لاستخدامه في علاج المحرّوح الناجة عن عملية الختان ، (WWW.wikipedia.org) .

(٣) المسرى : موسوعة ، مرجع سابق ، مجلد ٤ ، جزء ٣ ، باب ٣ .

ولأجل مواجهة التجاوز الملكي لليهود فقد صدر قرار في مجمع كنسى في سامورة عام ١٣١٣ بناء على قرار سابق في مجمع فيما ، يقضى بمعاقبة اليهود بala يكون لهم وظائف أو مزايا ينبعها لهم الملوك أو الأمراء ، وألا يمارسوا مهنة الطب على المسيحيين مهما كانت درجة مهارتهم ، وألا يلتجأوا إلى ممارسة الربا مع المسيحيين^(١) .

وعلى الرغم من صدور تلك القرارات ضد اليهود إلا أنها لم تصل إلى حيز التنفيذ بسبب حماية الملوك لليهود^(٢) .

وقد بلغت قوة المنشرين اليهود إلى حد الوقوف ضد مصالح اليهود الآخرين في سبيل مصالح البلاط الملكي بهدف إظهار صدقهم لهم ، حيث عملوا خدما ورؤساء للخدم لدى الملوك والأمراء والأساقفة ورؤساء الأديرة المسيحية حتى عام ١٤٩٢م ، وكان لليهود دورهم في تمويل القوات والقيام بدور الوسيط الدبلوماسي والمالي في البلاد إلى جانب دورهم الاستخباري وأمور التجسس لصالح الملوك والحكام المسيحيين^(٣) .

وكان اليهود يمثلون الوسيلة السريعة للحصول على الأموال للملوك للمسيحيين ، وقد ازداد الاحتياج لليهود في القرن الرابع عشر حيث قام إنريكي الثاني بمطالبة النواب في برغش عام ١٣٦٧ حينما اعترضوا على منح اليهود مزايا يجب أن تكون للمسيحي فقال : "فيما يتعلق بما قلتم ... بأننا أجرنا لليهود الديوان والمتاخرات الواجبة على قرى ومدن مملكتنا، وأننا لم نتحدث عما يدين به لنا من يقومون بالتأجير ، والتحصيل ، وأن الأمور لو ظلت كذلك فسوف يكون هناك عصيان ، وسوف يقبل الناس على هذه الأرض ، وأن علينا القيام بتأجير كل ما سبق للمسيحيين ... نقول رداً على هذا حقاً لقد أجرنا ذلك لليهود ؛ لأننا لم نجد أحداً آخر يتولى المهمة ، وأجرنا لهم ذلك شريطة ألا يضايقوا أحداً .. فإذا ما أراد أحد المسيحيين ، فإن العائد سوف يكون أقل بكثير مما لو أجرنا لليهود"^(٤) .
ومن التصریح السابق يظهر لنا مدى حماية الملوك لليهود حفاظاً على مصالحهم .

(١) كاسترو : أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٩ .

(٢) نفسه ، ص ٥٨٠ .

(٣) نفسه ، ص ٥٧١ .

(٤) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٧١ ، ٥٧٢ .

القوة الاقتصادية لليهود في إسبانيا والبرتغال :

منذ القرون الأولى للميلاد اشتهر اليهود بأمور الصرافة وامتلاك البنوك وضرب النقود فعلى سبيل المثال عرف برسكوس اليهودي ضارب النقود في القرن السادس الميلادي وأيضاً جدعون اليهودي في القرن العاشر، وسيمون وسلمان في القرن الثاني عشر وغيرهم^(١) وقد ظل هذا الأمر حتى أصبح القرنين ١٧، ١٨ العصر الذهبي لضاربي النقود اليهود، وكان الملك فرديريك ملك بروسيا يتعامل معهم رغم معاداته للسامية واليهود^(٢).

وقد أدى ذلك إلى ارتفاع قيمة ضاربي النقود اليهود إلى مركز رجال البلاط الملكي وكانتوا يتصلون بالحكام ببساطة ، وكانت أبواب القصور مفتوحة لهم في كل وقت رغم الجيوش التي كانوا يعيشون فيه ؛ وذلك لكونهم أصحاب نفوذ تجاري واجتماعي واقتصادي، وكانتوا يمتلكون قصوراً تضاهي قصور النبلاء المسيحيين، الأمر الذي أدى إلى احتجاج الطبقات المسيحية الشعبية الفقيرة حيث بدأت تتأمر ضدتهم بسبب الغنى والثروة التي يتمتعون بها^(٣).

وعكن القول أن النشاط الاقتصادي في القرون الوسطى كان هو العصب المحرك للיהود، فاليهود بارعون في التصرف بالأموال وتحقيق الربح السريع ، وقد ظهر هذا الأمر واضحاً في الأندلس حيث كان منهم ، الصاغة والصيارة وأصحاب البيوت المالية والتجاريين، وكان رجال المال من اليهود لديهم صلاحية ضرب النقود في القرون الوسطى ، ويؤلفون طائفة لها أهمية تفوق أهمية مرتبة النبلاء ، حتى أصبحوا في مركز رجال البلاط ، وبمحق لهم الاتصال بالحكام بحرية تفوق معظم النبلاء ، وكان هؤلاء التجار اليهود لهم أعمال تجارية ضخمة في البحر المتوسط ، فكانوا يجوبون الشرق والغرب ، بحراً وبراً ، جلب كل أنواع التجارة ، ويتكلمون العربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والقلبية^(٤).

(١) بورنر يواكيم ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٧ .

(٣) بورنر : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٣٤، ٤٢ .

(٤) نفسه ، ص ٣٧ - ٣٩ .

وكان تحصيل الضرائب وتزويد المال بمال تجارة راجحة بين اليهود في ذلك الوقت . فتميز تعاملهم المالي مع الآخرين بالربا على الرغم من تحريم هذا التعامل في نصوص العهد القديم^(١) حيث مارس اليهود الربا على مستوى كبير ، حتى إن أفراد الشعب اضطروا لبيع ممتلكاتهم لأجل سداد الربا ، وقد أدت هذه الأمور إلى تفاقم كراهية الشعب المسيحي لليهود^(٢) .

ويلاحظ أن نشاطات اليهود في الاقتصاد في ميادين التجارة والإقراض بالربا لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا ؛ حيث اقترب تاريخ اليهود الاقتصادي طوال مسيرتهم بالربا . مما سهل للمتنصرين اليهود الوصول إلى منصب البابوية عن طريق تحكمهم في مصادر الثروة حيث خدم اليهود كمستشارين ماليين لكثير من البابوات .

وكان أساس اقتصاد إسبانيا قائماً على الاقتصاد اليهودي ، حيث تغلغل اليهود في المرافق التجارية والصناعية ، واستطاعوا أن يكونوا مركزاً مهماً من مراكز الثروة في البلاد . وكان لليهود قدرة على الإنتاج تبعدم لدى المسيحي الإسباني في أمور المال ، وكان الملوك ورجال الدين المسيحي يوكلون لليهود مهمة جباية الضرائب ، واستثمار الأموال ، كما أولوهم مسئولية تولي الخزانة الملكية ، وكان لليهود دور كبير في تمويل القوات المخابرة وقت حرب الاسترداد وذلك من خلال براعتهم في تجارة الأسلحة^(٣) ، ولم يكن المسيحي في ذلك الوقت يعنيه سوى السيادة على الأرض؛ لذا فقد ترك أمور التجارة والصناعة لليهود لمهاراتهم في القيام بدور الوسيط من أجل تحصيل الأموال للملك أو لعليه القوم من عامة الشعب^(٤) .

ونضرب بعض الأمثلة على محاباة الملوك لليهود بهدف المنفعة التي يجذبها من وراء ذلك :

(1) ورد في سفر الأمثال : ٨ / ٢٨ ، [المكثر ماله بالربا والمرابحة ، فلمن يرحم الفقراء يجمعه] ، وجاء في سفر حزقيال : ٨ / ١٨ ، [ولم يعط بالربا ولم يأخذ مرابحة وكف يده عن أجور وأجرى العدل الحق بين الإنسان والإنسان] .

(2) كاسترو أمير كوك ، مرجع سابق ، ص ٦٠٩ .

(3) حرب الاسترداد هي التي قام بها المسيحيون من أجل القضاء على الحكم الإسلامي في البلاد وإعادته إلى الحكم المسيحي الكاثوليكي .

(4) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٥٧١ .

• كانت ديون رجال الدين اليهودى مرتفعة للدرجة التي جعلت المفترضين من رجال الدين يلتجأون إلى البابا لسد ديونهم من خلال صكوك الغفران التي تعفيفهم من رد الديون لأصحابها ونتيجة لذلك ، أصدر الملك قراراً ومقديداً إلى رجال الدين بمنع إلغاء الديون بقوله:

"أنتم تعرفون أن اليهود وما معهم لي، فأي غنى يلحق ضرراً باليهود سوف يقوم الملك بمعاقبة رجال الدين بدفع ضعف المقابل"^(١).

• وفي عام ١٣٩٠ م وصلت التجاوزات الملكية حدّاً كبيراً في سبيل المحافظة على الوجود اليهودي من أجل مصالحهم المرتبطة بهم ، ومن ناحية أخرى كان اليهود على استعداد للتضحية بكل شيء في سبيل البقاء ، فكانت المصالح متبادلة بين الطرفين ، وقد وصل الأمر باليهود الذين حرصوا على مصالحهم في البلاد أن قاموا بخيانة يهود منهم ، حتى قيل إن بعض هؤلاء المتنصرين اليهود كانوا السبب في إنشاء محاكم التفتيش ، بل كان منهم أعضاء رئيسيون في تلك المحاكم^(٢).

• وفي عام ١٤٨٨ منح الملوك الكاثوليك تصريحًا لصموئيل أبي العافية بأداء خدمات للمساعدة في حرب الاسترداد التي دارت في غرناطة ، وكان كل عضو في البيع اليهودية يسهم بـ٦٠٪ من المال لصالح خزانة الملك ، وكانت إسهامات البيع اليهودية في قشتالة خلال حكم ألفونسو العاشر تصل إلى ستة آلاف مرابطى (وحدة عملة)^(٣) ومن هنا نجد سر حماية الملوك الكاثوليك لليهود .

• كانت البيع اليهودية هي المصدر الأساسي للثروة ؛ ولأجل هذا فقد حظى اليهود بحماية الملوك حق صدور قرار طردهم ؛ فكان ألفونسو الثالث ملك أراغن يأمر قضاة الإقطاعيات التابعين له أن يتصرفوا مع اليهود "بحكمة" وذلك في عام ١٣٢٨ م ، وكان الملوك السابقون متسمعين مع اليهود إلى حد كبير لأجل المصلحة والمنفعة التي تعود عليهم من اليهودي، وكانت كنيسة روما تتسامح معهم لكونهم خدم الملوك وجباة الضرائب لديهم^(٤).

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٩.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٠٥ .

(٣) نفسه ، ص ٥٧٤ .

(٤) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٥ .

- كان اليهود على علاقات تجارية وطيدة بشمال أفريقيا ، التي كانت بمثابة محطة انتقال من بلاد الشرق إلى إسبانيا نظراً للتقارب الجغرافي بين إسبانيا والشمال الإفريقي فأصبح اليهود وسطاء تجاريين بينهما، ومن المعروف أن عدداً من يهود إسبانيا عاشوا في القبرص لأن أغراض تجارية، وقد أدى هذا التقارب إلى إتمام صفقات تجارية بين تلك المناطق في وقت قياسي ، كما كانت الطائفة اليهودية في شمال أفريقيا وسيطًا بين يهود إسبانيا والجاوزيين في العراق ^(١).
 - قام الملك "ألفونسو الخامس" بإعادة بناء الكنيس اليهودي في سرقسطة عام ١٤١٧م ، لأجل إرضاء اليهود .
 - وفي عام ١٤١٨م ، قام الملك فرناندو بتأييد رئيس دير "سييو" في "سرقسطة" لمعاملته القاسية لليهود قائلاً : "إهم كتنا وميراثنا" وكان الملوك الأسبان يحاولون كبح مشاعر العداء تجاه اليهود من قبل الشعب المسيحي ورجال الدين ^(٢) . ونتيجة لحماية الملوك فقد بلغت قوة اليهود المالية حداً كبيراً للدرجة التي جعلتهم يهددون الملك فرناندو الثالث في بداية القرن الثالث عشر بمعادرة البلاد إذا ما أجروا على حل "رمز" يميزهم عن المسيحيين غيرهم ، وقد أذعن الملك لطلبهم، وطلب من البابا ، الغفو عنهم حق لا يتم تنفيذ القرار ، معتبراً أن ذلك "من أجل مصلحة الشعب والكنيسة والملك" ^(٣) .
 - استطاع اليهود القيام بأعمال التجسس لصالح الدول التي يقيمون فيها وكان لديهم القدرة على توصيل المعلومات بسرعة غير متوفرة عند غيرهم ، وذلك من خلال حلقة الاتصال اليهودية بين يهود المارانوس المنتشرين في أوروبا الغربية والدولة العثمانية وإسبانيا والبرتغال ^(٤) .

¹⁾ אברמסון, ר'ח = ש' אברמסון, פירוש רבנו חננאל לתלמוד, ירושלים תשנ'ה. עמ' 78-79 ו א' אשטור, קורות היהודים בספרד המוסלמית, ירושלים דר' 19, עמ' 87 ו מ' בן-שושן, צמיחת הקהילה היהודית בארץ ישראל, ירושלים תשנ'ו. עמ' 38-35.

(2) كاستو، مرجع سابق، ص ٥٧٦.

٩٧٨) كلامات و مقالات (٣)

(ج) تسلیم ، مرجع سبکی ، من

٤) المسيري ، اليد الحفيفه ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

وتوجد حالات عديدة قام بها يهود المارانوس بالتجسس لصالح الدولتين الأسبانية والبرتغالية^(١)

ويظهر مدى تفنن اليهود في خلق مكانة مرموقة لأفرادهم داخل الحكومات، واستخدامهم للمال والثروة لتشيّط أقدامهم ، ليس في المجتمع فقط ، وإنما داخل السلاط الملكي ، وبين الأسر الحاكمة متخاطبين كافة الحاجز ، حتى إن القوانين التي كانت تصدر ضدهم من أجل تقليل دورهم ، كانت دائمًا تتهشم على جدار المال والثروة اليهودية .

وقد كونت الجماعات اليهودية في هذه المرحلة شبكة علاقات تجارية على مستويين: دولي متقدم، ومحلي بدائي . فكان كبار المولى اليهود على اتصال تجاري قوى بالدول المختلفة، وكانوا يسدون بين احتياجات الأمراء للأموال وحاجات الجيوش للتمويل. وكان اليهود يقومون بتدبير المعادن النفيسة وأي كمية من الذهب يريدها الإمبراطور أو الأمير، ويعدون له التمويل اللازم للحملات العسكرية ، وذلك في أسرع وقت ممكن رغم ظروف الحرب . وكان يهود المارانوس يرون أنهم يمكنون ما يقدمونه للدول الغربية على الصعيد التجاري والمالي العالمي، وهذا استمرروا في التخفي حتى يستفيدوا من الفرصة الاقتصادية المتاحة أمامهم، إذ كان قودهم يعني فقدانهم إياها . ولذا نجد أن كثيراً من المارانوس حرصوا على البقاء في شبه جزيرة أيبيريا بحثاً عن الفرصة الاقتصادية، وحافظاً على أملاكهم من المصادرة، مؤثرين ذلك على الهجرة إلى بلد بروتستانتي أو إسلامي يمنحهم حرية العبادة ولا يمنحهم الفرصة الاقتصادية ذاتها .

كما أن كثيراً من يهود المارانوس الذين هاجروا إلى دول جديدة استمرروا في على علاقات مع المؤسسات التجارية في إسبانيا والبرتغال، ومع أعضاء أسرهم الذين تنصروا بالفعل. وكان الحكام الأسبان والبرتغاليون يستفيدون من خبرائهم واتصالاتهم الدولية، وبنفوذهم ورؤسائهم، رغم اضطهاد الكنيسة والشعب .

هذا وقد لعب المارانوس دوراً مهما وفعلاً في تأسيس الشركات التجارية والاسطيانية الكبرى، مثل شركة الهند الشرقية وشركة الهند الغربية الهولنديتين، وساهموا في تأسيس شركات منافسة أسسها البرتغاليون ليخرجوا الهولنديين من البرازيل. كما أسس المارانوس ،

(١) المرجع نفسه ، ص ١١٥ .

بما لديهم من خبرة مالية، شركات تأمين والعديد من المصارف، حيث كانوا ذوي شهرة في التعامل مع بورصات الأوراق المالية. وأسسوا مصانع للصابون والأدوية، وساهموا في صناعة السلاح وبناء السفن. واحتكر المارانوس التجارة الدولية في سلع مثل المرجان والسكر والأحجار النفيسة، كما اشتغلوا بتجارة الرقيق بسبب وجود أعداد منهم في أوروبا والعالم الجديد ومستعمرات البرتغال في إفريقيا التي كانت تعد مصدراً رئيساً للعبيد^(١).

ويوجد عاملان أساسيان ساعدا على تبوء المارانوس لهذه المكانة المالية الضخمة في إسبانيا والبرتغال وهما أن المارانوس كانوا أول شبكة تجارية عالمية وأول نظام ائتماني في العصر الحديث كان يربط بين معظم أطراف العالمين الإسلامي والمسيحي بشقيه الكاثوليكي والبروتستانتي. وامتد نشاطهم إلى العالم الجديد، حيث ارتبطوا بكثير من المشروعات التجارية للاستعمار الغربي. كما تزامن انتشارهم مع بداية علمنة المجتمع الغربي وظهور الحكومات المطلقة التي كانت تأخذ بالمنفعة والولاء لها ، وليس بالانتماء الديني معياراً للحكم على الأفراد^(٢).

وتجدر الملاحظة أن التجارة التي اشتغل بها المارانوس كانت التجارة الدولية ، وأن الأعمال المصرفية التي قاموا بها كانت أعمالاً مصرفية متقدمة .

كذلك اشتهر اليهود في إسبانيا بممارستهم للطب وكانوا منتشرين في البلاط الملكي ، وكان المسيحيون - بدءاً من الملك وحق الطبقة الدنيا - يلجأون إلى هؤلاء الأطباء اليهود لعلاجهم ، على الرغم من أن القوانين في ذلك الوقت كانت تمنع المسيحيين من استخدام اليهود كأطباء لهم ، إلا أن المشرعین للقوانين أنفسهم وعامة الشعب لم يتمكنوا من الاستغناء عن خدمات الأطباء اليهود^(٣) حيث اعتاد الملوك الأسبان أن يكون لديهم أطباء يهود يطلق عليه الطبيب الخاص ومنهم " حايم اللاوي " طبيب بدرُو أسقف طليطلة ١٣٨٩ ، " وساميون بيتون " طبيب الملكة إيزابيلا ١٤٧٦ ، " وساماي لوبيل " طبيب إبراهيكي الرابع ١٤٥٦ - ١٤٦٥ ، وكان يوجد في أرغن ٧٧ طبيباً يهودياً في القرن الرابع عشر و٥٥ طبيباً في قشتالة .

(١) المسيري ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٢) المسيري ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

(٣) كاسترو أمير كو ، مرجع سابق ، ص ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

واشتهرت عائلة البارودي كاسترو بـ مزاولة الطب في القرنين الخامس عشر وال السادس وكان موسى ابن ميمون أشهر أطباء القرون الوسطى وكان طبيب صلاح الدين الأيوبي^(١). ولم تستطع القوانين المسيحية أن تمنع اليهود من مزاولة مهنة الطب حيث ظلت تمارسه لقرون عديدة — على كافة المستويات الملكية والشعبية المسيحية .

القوة الاجتماعية لليهود في إسبانيا :

على الرغم من الرفض الشعبي المسيحي للطوائف اليهودية ، إلا أن اليهود مثلوا قوة لا يستهان بها داخل المجتمع الإسباني ، حتى قبل إفهم كانوا يمثلون دولة داخل دولة . وقد نبع ذلك القوة من تصرفات الملوك والحكام ورجال البلاط الذين منحوم حرية ممارسة الأعمال الحرافية واليدوية التي كانوا يتقنونها ، كما منحوم المناصب والوظائف الإدارية بالدولة ، فكان منهم صناع الأحذية ، والحدادون ، والنجارون ، والخياطون ، وتجار الذهب ، وتجار العملات ، إلى جانب الأطباء والمعالجين الذين كانت لهم أهمية خاصة في المجتمع ، ومن هنا جاء تغلغل اليهود إلى داخل البنية الاجتماعية للدولة^(٢) .

وفي القرن الرابع عشر كان اليهود يشغلون مناصب مهمة في القضاء ، وكانت لهم محاكمهم المستقلة ، بالرغم من معارضة الشعب لها وكان الملوك يلقبون بعض اليهود بـ "السيد" وهي أعلى الدرجات الاجتماعية بين النبلاء^(٣) .

ونستطيع أن نتحقق من مدى ثقل اليهود في المجتمع الإسباني المسيحي وتغل그لهم فيه من خلال الممارسات اليهودية التي حدثت في المجتمع الإسباني طيلة أربعة قرون ومن بينها :

- كان اليهود يرتدون ملابس مماثلة للمسيحيين .
- وكانوا يضاجعون النساء المسيحيات ، ويرتدون حفلاتهم .
- وكانوا يتدخلون في مراسم عقود الزواج المسيحية .

(1) كاسترو أمير كرو ، مرجع سابق ، ص ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

(2) المرجع نفسه ، ص ٥٨٥ .

(3) نفسه ، ص ٥٩٤ .

- في ممارسات الجنائزات المسيحية ، كان اليهود يكلفون بعمارة النواح فيها وينحرون مقابلها خمسة عشر مرابطيًّا (عملة إسبانية) .
- تدخل اليهود في أمور التعميد المسيحي ، فكان منهم من يتولى دور الأب الاسمي في التعميد المسيحي .
- كان الملوك والنبلاء الإسبان يعهدون إلى اليهود بمهمة تربية أبنائهم تربية علمية وأدبية^(١) .

وكان انتشار وجود بابا يهودي من المسائل البارزة في إسبانيا فترة العصور الوسطى . ومن أبرز الأسر التي كان هدفها استلام أحد أفرادها منصب البابا المسؤول عن جميع كنائس العالم المسيحي أسرة بيرليوني في روما وهم الذين اختاروا التحدث باللغة اللاتينية من قبيل إثباتالية الصادقة في التحول للمسيحية^(٢) . وكان كل من البابا غريغوري السادس والسابع عاملين في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى ، وكانا فردين من أسرة يهودية تحولت إلى المسيحية من أسرة بيرليوني^(٣) .

ويطلق بعض المؤرخين على عائلة بيرليوني "عائلة روتشيلد القرون الوسطى" ؛ وذلك لثرائها وأهيتها التي فاقت مرتبة النبلاء بما يمتلكون من مال ، إلى جانب إشرافهم على ضرب النقود وعمليات التعدين في مناجم الذهب والفضة ، لذا كان الملوك وكبار رجال الدولة يلجأون إلى التعامل مع العائلات اليهودية الذين اشتهروا كممولين وضاربي نقود^(٤) . ومن أهم الشخصيات اليهودية التي احتذت منصب البابوية هم إيونوس جراتيانوس (غريغوري السادس ١٠٤٥ - ١٠٤٦) وهيلد براند (غريغوري السابع ١٠٧٦ - ١٠٨٥) وبطرس بيرليوني (أناسولت الثاني ١١٣٠ - ١١٣٨) وقد أسهم ثلاثة في ثروة الكنيسة ، وثلاثتهم ينسبون إلى أسرة بيرليوني اليهودي^(٥) .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٣٨ .

(٢) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩ .

(٤) نفسه ، ص ٣٦ .

(٥) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

كما خدم اليهود كمستشارين ماليين لكثير من البابوات^(١) واشتهرت مهنة الطب وانتشرت انتشاراً كبيراً في المجتمع الإسباني فكان منهم أطباء شخصيين للملوك وخازنوا مكتبةهم، وعلماء يسلدون النصوح ويبدون الآراء في كثير من الأمور^(٢).

وقد لاقى هذا التسامح الملكي تجاه اليهود احتجاج الأوساط الشعبية المسيحية تجاه ذلك الاستزاف اليهودي ، سواء على الجانب المالي أو السيادي المتعهّم في المناصب على حساب الشعب .

ونتيجة لذلك صدرت عدة قوانين ضدّهم ، لكنها لم تدخل إلى حيز التنفيذ ، فقد صدر قانون يمنع تلقي أية أدوية يقوم اليهود بصناعتها ، غير أن اليهود ظلوا يصنعوها ، وقانون آخر يحوم عمل اليهود خدماً أو خدمات أو رعاة أو بستانين للمسيحيين ، وقد ظل اليهود يعملون خدماً ورؤساء خدم في البلاط الملكي.

كما حرم القانون المسيحي عليهم ارتياد الحفلات أو التدخل في عقود الزواج المسيحية أو الجنازات الخاصة بهم ، وكذلك اعتلاء مكانة الآباء اليسعین أو الأمهات للمسيحيين في التعميد ، كما لم يسمح لهم بممارسة مهن جمع الضرائب أو الاستئجار أو جمع الأموال الملكية أو الخاصة بالسادة ، أو أن يكونوا من متداولي الأموال ، أو يكون لهم قضاء خاص بهم ، سواء في المحاكم المدنية أو التي تبت في الجرائم، كما حرموا عليهم زيارة المرضى من المسيحيين ، وكذلك منع تداول أية أدوية أو أي نوع من الشراب اليهودي ، وكذلك منع الاستحمام في نفس حمامات المسيحيين العامة ، ومنع إرسال هدايا للمسيحيين من الخلوي أو التوابل أو الخبز المطبوخ أو الطيور المذبوحة ، كما لم يسمح لليهودي بإطلاق لقب السيد على نفسه سواء كتابة أو كلاماً ، وكذلك منعوا من ممارسة مهنة البيطرة ، ولا مهن الحداقة أو صناعة الأحذية ، أو الخياطة والجزارة والنسيج .. ومنعوا كذلك من جلب البضائع بما فيها الزيت والعسل والأرز ..^(٣) . وعلى الرغم من صدور تلك القوانين ، إلا أنها لم تكن فاعلة وظل اليهود يمارسون حياتهم في المجتمع الإسباني ببرأة فائقة وبشكل طبيعي .

(1) المرجع نفسه ، ص ٦٣ .

(2) نفسه ، ص ٦٤ .

(3) كاسترو : أمير كور ، مرجع سابق ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ .

وكانت العلاقات الجنسية شائعة لدرجة أن علماء اليهود في القرن الخامس عشر فسروا سبب طرد اليهود من إسبانيا عام (١٤٩٢م) بقولهم : "إن اليهود الإسبان أخذوا النساء من الأمم إلى بيوقم وتسبيوا في حلهم ، وهكذا أصبح أطفالهم من الأمم ، ثم أصبحوا فيما بعد قتلة مجرمين اشتركوا في قتل آبائهم" (١) .

ونذكر هنا قصة إمرأة يهودية من بلدة "كوكا" كانت على علاقة حب بمسحيى وذلك في عام ١٣١٩م ، حيث حلت تلك المرأة من المسيحي وتنازلت له عن بعض أملاكها فقام المسيحيون بعرض الأمر على السيد "خوان مانويل" فأشار بصلاحية المحكمة اليهودية للبت في هذا الأمر ، وبعد أن وضعت المرأة توأمين مات أحدهما ، وقام المسيحيون بعميد الآخر ، ولم يشغل الحاخام بالله بالاثم الذي ارتكبه المرأة وإنما الفضيحة التي تعرض لها اليهود فقال للحاخام أشر الطيطي :

" ما الذي نفعله حق نظير أبا عين الناس ونحن نطبق قوانين السورة ... ؟ وتححدث كافة القرى الخبيثة بـ كوكا عن المسألة وأخذت الألسنة تلوك حكاية المرأة ، وبالتالي الطعن والقليل من شأن ديننا ... "

فاقتصر الحاخام الحكم عليها - بجدع أنها حق يزول عنها الجمال الذي يشد حبيبها إليها .

ونلاحظ مما ورد شعور الحاخام بالقلق إزاء انتشار الفضيحة فكان هذا كل همه وليس إلام الذي ارتكبه الجميلة اليهودية (٢) .

كما نلاحظ ان الحاخام اليهودي الذي أصدر حكمه لم يعر اهتماماً بالجزاء المنصوص عليه في التوراة في هذه الحالة وهو الرجم وهو ما نصت عليه التوراة في سفر التثنية (٣) .

(١) برترن : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٢) كاسترو أمير كو ، مرجع سابق ، ص ٥٩٧ .

(٣) النص المذكور في التوراة هو : "إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة فتُرَدُّ الشر من إسرائيل" "إذا كانت فتاة عنراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فآخر جوهرها كليهما إلى باب تلك المدينة وارجوهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه اذل امرأة صاحبه فتُرَدُّ الشر من وسطك" ، سفر التثنية / ٢٢ - ٢٣ .

وعلى جانب آخر كان محروماً على المرأة المسيحية طبقاً للقانون المسيحي دخول الأماكن التي يعيش فيها اليهود ليلاً أو نهاراً ، ويتم إدانتها إذا صاجعت يهودياً ؛ فتعاقب بفقدان نصف أملاكها في المرة الأولى ، وفي الثانية تفقد كل مالها وتسليمها لوالديها ، وإذا عادت مرة أخرى فإنه يحكم عليها بالإعدام ، أما إذا كانت متزوجة فللزوج أن يعاقبها كما يشاء ، إما بقتلها ، أو إطلاق سراحها . وعلى الرغم من صدور الأحكام والقوانين ضد اليهود الذين يصاجعون نساءً مسيحيات ، إلا أن اليهود ظلوا يصاجعون المسيحيات في عدد من البلدان مثل نيبلا وأشبيلية ، مما يدل على أن القرارات الصادرة ضدهم لم تكن نافذة^(١) .

ويلاحظ أن ردود الفعل - تجاه التنصر اليهودي - بين الحكم من جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر ، كانت متعارضة حيث غالب على الحكم التخلّي عن الصرامة في تنفيذ القرارات المضادة للمارانوس ، بينما ظهر تمسك كبير بالعداء هؤلاء المتنصرين من الشعب والكنيسة .

(1) كاسترو ، أميركو ، مرجع سابق ، ص ٦٥٥ .

المبحث الثاني

ردود الأفعال الرسمية والشعبية

تجاه المتنصرين اليهود

ظن اليهود أن المسيحيين سوف يتقبلون تنصرهم واعتقاهم دينهم بالترحاب ، لكن الأمر لم يكن كذلك ، فإن تغيير العقيدة إلى عقيدة السلطة الرسمية في ذلك الوقت (المسيحية) ، كان يسمح بدخول عناصر المتنصرين للحكم . ولأجل هذا فقد رأى المسيحيون الأصليون أن المتنصرين منافسون لهم في المناصب السلطوية ؛ لذلك عمل الشعب المسيحي على عزل المتنصرين اليهود والهبوط بكرامتهم ، ومنع الامتيازات التي ترفهم عليهم ؛ حيث أطلقوا عليهم ، المارانوس اليهود أو الخنازير^(١) .

وأنقسم التنصر اليهودي إلى نوعين : تنصر جاء طواعية بسبب تدهور الحالة الروحية لدى أعضاء الجماعات اليهودية ، نتيجة لظهور وانتشار الثقافة العقلانية الممثلة في فلسفة "ابن رشد" ، واندماج الجماعة اليهودية فيها ، والتي كان لها تأثيرها على إيمان النخبة الدينية اليهودية التي افتقدت هويتها ، إضافة إلى ارتباط المصالح اليهودية بالغالبية المسيحية ، والرغبة في اعتلاء مناصب سياسية أو دينية ؛ لذا كان تنصر هؤلاء تنصراً فعلياً ، حفاظاً على مصالحهم^(٢) .

والنوع الآخر : تنصر اضطراري من أجل البقاء ، مع إبطال اليهودية ، فأصبحوا متنصرين في الظاهر ، يهوداً في الباطن ، قسم منهم عاش في إسبانيا ، والقسم الآخر قرر اللجوء إلى البرتغال التي منحتهم حق اللجوء المؤقت نظير ضريبة يقدمونها^(٣) .
ومن هنا ظهرت يهودية ذات أنساق كاثوليكية ، مثلت نوعاً من الازدواجية لدى المسيحي الذي وقف بين خيارين ، الأول يتعلق بعدي قبوله لليهودي قاتل المسيح من ناحية؛

(١) סיכון היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) עימותה בין מוסלמים לנוצרים .

. ٢٠٠٧-٣-٢٨ . www.tzafonet.org.il

JewishEncyclopedia.marano (2)

(3) المرجع نفسه .

والآخر يتعلق بالوجود اليهودي المشروع ؛ لأن الكيس اليهودي هو بيت الله طبقاً للتشريع من ناحية أخرى.

وفي الوقت نفسه ظهرت الازدواجية لدى اليهودي المتصر الذي تحتم عليه إبراز المسيحية وإخفاء يهوسيته.

وكان المسيحي الإسباني يعتقد أنه من سلالة أعلى وعقيدة أفضل من اليهودي ، إلا أن حاجته لليهودي في العمل اليدوي والتجاري والصناعي والعلمي ، إلى جانب حاجته للمزارعين والبائعين والحرفيين - تلك المهن التي يتقنها اليهودي - هو ما جعله يتقبله نظراً لافتقاره لها ؛ ولذلك حاول استكمالها ملء هذا الفراغ ^(١) ومن ناحية أخرى فإنه كان ينظر إلى هذه الأعمال نظرة ازدراء ، باعتبارها أعمالاً غير إنسانية تبعد بالإنسان عن القيم الجوهرية لروحه ؛ إذ إن غاية المسيحي أن يكون شريفاً أو رجل دين ^(٢) .

الممارسات اليهودية المناهضة للمسيحية :

من الأمور التي تدعو للدهشة ، أنه على الرغم من الصراع الدائر - بين الملوك من جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر - حول الممارسات اليهودية في الدولة إلا أن رجال الدين المسيحي كانوا أنفسهم يطلبون من اليهود تحصيل الأعشار للكنيسة ^(٣) . وقد وصلت حاجة الملوك الكاثوليك الأسبان لليهود إلى الدرجة التي جعلتهم يتسامحون مع اليهود الذين كانوا يطعنون في الديانة المسيحية ، ففي عام ١٣٥٠ قام ثري يهودي بالاستهزاء بالMessiah عيسى معلنًا أن المسيحيين يقدسون "رجالًا" يعتقدون أنه "ابن الله" وهو ، "ابن سفاح" ، فصدر الحكم بسجنه ، ثم أطلق سراحه !!

وفي عام ١٣٩٨ أثّهم عدد من اليهود بسببهم الذات الإلهية ، وأهان السيدة مريم العذراء في عذريتها ، ودعوها بالخاطئة ^(٤) وكذلك سببهم القديسين المسيحيين ، إلا أن الملوك تغاضوا عن الأحكام التي صدرت ضدهم ^(٥) !!

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٧٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٨٢ .

(٣) نفسه ، ص ٥٨٠ .

(٤) برزن : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٥٩٠ .

وعلى الرغم من قيام اليهود بارتكاب الانتهاكات الدينية ضد الشخصيات المسيحية المقدسة وقيامهم باغواة النساء ، والسرقة والقتل ، فإن ملوك إسبانيا وبنلاءها في القرن الخامس عشر وجدوا في اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، "الطبقة المميزة والضرورية لرفاهية البلاد" ، وأفعم "لا يشكلون خطراً على عقائدهم" ، ومن هنا يثبت مدى التباين الظاهر بين السياسة الملكية ومصلحتها التي كانت في المقام الأول وبين الشعب والكنيسة على جانب آخر .

وفي القرن الخامس عشر ظهر شكل جديد من القلاقل التي حدثت في الدولة على المستوى الديني ، ألا وهو اختلاط كثير من العائلات المسيحية بأفراد من أصول يهودية ، فظهر ما يعرف بمشكلة نقاء الدم أو "طهارة الدم" (טהירות הדם) ^(١) ، حيث كان كثير من اليهود المتصررين حق القرن الخامس عشر لهم أنساب تابعة للعائلة المالكة المسيحية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، سواء كانوا ملوكاً أو نبلاءاً ، وكانت لهم زيجات يهوديات ، وكان الملك فرناندو الكاثوليكي ترجع أصوله - من جهة أمه - إلى اليهودية ^(٢) . وقد أصبح الانتساب للسلالات الرفيعة أمراً مشتركاً بين اليهود والمسيحيين ، الأمر الذي أدى باليهود ذوي الأصول الإسبانية الشعور بالتفوق وفي هذا الشأن يقول ماكس جرونيباوم :

"إن من يحضر الصلاة في الكنيس اليهودي البرتغالي في أمستردام يلاحظ على الفور الفارق بين اليهود الإسبان واليهود الألمان ، فالجو المهيبي والهادئ أثناء الصلاة يجعلها مختلفة عن البيع الألمانية الهولندية ، كما تجده العظمة الإسبانية في الكتب الإسبانية اليهودية المطبوعة في أمستردام ، ولازال العربيون من ذوي الأصول الإسبانية يحتفظون حتى اليوم بـ شاعر التفوق ، وهذا ما لا يفهم إلا إذا أسندهناه إلى الجو الذي سار قبل عام ١٤٩٢ م ، أي الاعتقاد في تسييد الفرد ، وهذا هو جوهر الروح القشتالية ، ويواصل اليهودي مشواره في الحياة وهو يرتبط حيوياً بمناهضيه منذ ما يقرب من ٤٥٠ عاماً "

(١) صدر في إسبانيا عام ١٥٦٦ م قرار خاص بنقاء الدم الذي جعل من الأصول العرقية (لا الإيمان الديني) معياراً للتمييز ، بعد أن كان التقييب يتم عن من يمارسون الطقوس اليهودية خفية، أصبح التقييب عن ذوي الأصول غير الندية .

وقد وصلت مسألة اختلاط الدماء بين اليهود واليسوعيين إلى حد المحاكم ، حيث عارضته بعض الطوائف المسيحية ، وخاصة ما يتعلق بالخدم والعبيد ، ومع هذا فإن الأحكام والفتاوی لم تستطع أن توقف العلاقات بين الرجال والنساء اليهود واليسوعيين^(١) .

ويجدر بنا هنا أن نورد أقدم الوثائق التي تتحدث عن الطهارة العرقية لدى اليهود والتي جاء فيها :

" يعرف كل من يرى هذه الرسالة التي تحمل توقيعى أن هنا بعض الشهود الذين مثلوا أمام المحاكم إسحاق رئيس الدائرة ، وأبلغوه بأمانة وإخلاص عن أناس كبار في السن ومن أسر محترمة ، ويرى الشهود أن أسرة الأخوين داود وعزرايل هي أسرة نقية السلالة وليس عليها أية نقيبة ، فداود وعزرايل هما من الحديرين بالزواجه بأشرف عائلات إسرائيل فلم يحدث أن سجل لهم أى اختلاط في الدماء سواء من فرع الأب أو الأم أو الأفرع الأخرى . توقيع : يعقوب عيساشا"

والسبب في هذا النص المتعلق بطهارة الدماء هو ما ردده أحد الناس من أن أحد أصول هذين الشابين الأرستقراطيين كان من العبيد ، ولم يرض المتهمون بالقرار الصادر عن المحكمة المحلية فذهبوا إلى حاخامتات أعلى ، ثم رفعت كل الأحكام والفتاوی إلى شلومو بن أدريت البرشلوني الذي أصدر حكمه التالي :

"عندما تلقيت رسالتكم وقرأها أصبحت بالذهول فالذى صدرت عنه هذه المسبة ، أيًا كان وأيا كانت دوافعه ، قد ارتكب إنماً عظيمًا ويستحق عقوبة أكبر من إراقة دمه ، فالقاتل السفاح لا يقتل إلا فردان أو ثلاثة أما هذا الآثم فقد سب ثلاثين أو أربعين فرداً ، فصوت الدم الأسرى ينادي ويشن وهو تحت الأرض ، وكان على المحكمة الحاخامية أن تطرد الآثم من العقيدة كما أني سأركد حكمها بتوقيعى " .

وهذا النص هو أقدم نص يتحدث عن الطهارة العرقية في إسبانيا حيث يتضمن شهادة شهود وحاخامات يهود حضروا من أماكن مختلفة^(٢) .

(1) كاسترو : أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٩٦ .

(2) المرجع نفسه ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ .

المبحث الثالث

محاكم التفتيش والتحول القسري إلى المسيحية

سبق أن أوضحنا موقف الحكام والملوك الكاثوليك المتسامح تجاه اليهود الأسبان بغرض الاستفادة منهم في الأعمال المهنية والتجارية والمصرفية التي اضططلاعوا بها ، وقد سار على هذا النهج، الملك "فرديناند الخامس" الكاثوليكي ملك "أرجون" الذي أحاط نفسه باليهود المتصرين ، حيث مكثهم من شغل مناصب حساسة في بلاطه ، فكان عدد منهم أعضاء في المجلس الملكي ، وكان سكرتيره وقائد أسطوله البحري ، من هؤلاء اليهود المتصرين ، ومن جانب آخر، كانت زوجته "إيزابيلا" ^(١) محاطة بكثير من هؤلاء المارانوس اليهود ، حيث كان سكرتيرها ومستشاروها منهم ، كما كان القس الذي تعرف أمامه من أصل يهودي ^(٢).

وقد استعان كل من فرناند وإيزابيلا بالمارانوس اليهود في تمويل حروب الملكية الكاثوليكية ضد المسلمين ، حتى نجحوا في طرد المسلمين من إسبانيا عام ١٤٩٢ م ^(٣). وكان كلما يحدث احتلال مسيحي لجزء من إسبانيا يبدأ الحكام المسيحيون في التفكير في تطهير إسبانيا من الأديان الأخرى ، وقد قويت هذه الفكرة عندما اتحدت ملكتاً أرجون وقشتالة بزواج "فرديناند" ملك أرجون ، وإيزابيلا بنت ملك قشتالة في عام ١٤٦٩ م ، حيث حرموا على اليهود والمسلمين السكن في حي واحد مع المسيحيين مدعين أن كلاً من المسيحيين والمسلمين يؤثرون بشكل سلي على المسيحيين الأصليين ^(٤).

وقد استمرت عمليات الفصل بين المسيحيين من جهة ، والمسلمين واليهود من جهة أخرى مدة عامين ؛ نظراً لأن السكان اليهود والمسلمين ، وجدوا صعوبة في الانتقال إلى أحياe جديدة وترك بيومهم ومنازلهم الأصلية ^(٥) وقد حاول الملكان دمج اليهود المتصرين

(١) كانت الملكة إيزابيلا كاثوليكية في كل شيء ، وكانت تحمل البابا وتنصت له باهتمام وخشوع .

jewish encyclopedia (2)

(3) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) .

(4) المرجع السابق .

(5) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות)

الذين كان يشتبه في حقيقة نصرهم ، إلا أنه بعد طرد المسلمين قررت إيزابيلا إنشاء محاكم التفتيش **أينكווيداديز**^(١) والخلص من اليهود أيضاً .

موقف الملك (فرديناند) والملكة (إيزابيلا) مع يهود إسبانيا :

كان الملك (فرديناند) وزوجته الملكة (إيزابيلا) اللذان حكموا إسبانيا عام (١٤٩٢هـ=١٤٩٨م) كاثوليكين شديدي التحصّب للمسيحية ، وكانتا يغضبان اليهود بسبب معادتهم لعيسى (عليه السلام) حيث اعتبروه مرتدًا عابدًا للأوثان ، طبقاً لما ورد عنه في التلمود "أن يسوع الناصري موجود في جهات الجحيم بين القار والنار .. أنت به أمه من العسكري (باندارا) عن طريق الخطيئة .

والعهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود القيام به . ومن الواجب أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يظهرون بالعداوة لبني إسرائيل كما أن قتل المسيحي كان من التعاليم المأمور بها في اليهودية .

ولهذا أراد الملك فرديناند وزوجته وضع نهاية لهؤلاء اليهود وأعمالهم التخريبية ضد المسيحية المستخفية تحت ستار العلم والفلسفة ، فطالبهم الملك بضرورة دخولهم في المسيحية . وفي (٣٠ مارس سنة ١٤٩٢هـ=١٤٩٨م) وقع (فرديناند) و (إيزابيلا) مرسوماً ملكياً يقضى بنفي اليهود ، وينص على أن جميع اليهود الموجودين في البلاد غير العمددين - أيها كانت أعمارهم أو أحواضهم - عليهم أن يتركوا إسبانيا في موعد أقصاه (٣١) يوليوز (١٤٩٢هـ=١٤٩٨م) ولا يسمح لهم بالعودة ، ومن يخالف ذلك تكون عقوبته الإعدام ، وعليهم أن يتخلصوا من أمتعتهم خلال هذه المدة ، وهم أن يأخذوا معهم الأمتعة المقوله وصكوك المعاملات دون النقد من ذهب وفضة .

وقد حاولت بعض الشخصيات اليهودية الكبيرة دفع مبلغ كبير من المال لفرديناند وإيزابيلا في سبيل سحب مرسومهما إلا أنها رفضاً طلبهم .

ولم يستطع كبار الشخصيات اليهودية أن يثنوا الملك والملكة عن قرارهما ، وإلغاء مرسوم طرد اليهود من إسبانيا ^(٢) .

(١) الميري : موسوعة اليهود واليهودية ، مجلد ٤ / جزء ٣ / باب ٣ .

(٢) النعيمي : أحمد نوري ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار البشير ، الأردن ، ١٩٩٧م ، ص ٢٦-١٤ .

في هذه الفترة قام بعض اليهود بحرق منازلهم ، وذلك لأنّه لأخذ قيمة التأمين عليها ، وتنازل البعض الآخر عنها للمجلس البلدي للدولة ، وقام المسيحيون بتحويل المعابد اليهودية إلى كنائس، ومدافن اليهود إلى مراجع .

وفي تلك الأثناء طالبت الملكة إيزابيلا بتكوين محكمة خاصة لحاكمية اليهود الذين تصرروا ، بينما كانوا يمارسون شعائرهم اليهودية سرًا ، وثبت على أكثرهم قمة خداع الكنيسة ومارسة المعتقدات الموسوية سرًا ، وكان الغرض من إنشاء المحكمة القضاء على الهرطقة في مذهبها ، بحيث ينسى الجيل الثاني أو الثالث من اليهود العمدان أصولهم باعتبارهم مسيحيين .

وصرح فردیناند أن اليهود عنفوا المتنصرين منهم ، وحاولوا أن يعيدهم إلى يهوديتهم مرة أخرى ، ونتيجة لذلك ذابت ثروات اليهود ، وتنصر حسون ألف يهودي ، وترك إسبانيا أكثر من مئة ألف منهم في موكب خروج طويل وكثيف ^(١) .

ويصف شاهين مكاريوس أحوال اليهود في تلك الفترة بقوله : "سار المنفيون على معون الخيل أو الحمير أو على الأقدام . وناشد المسيحيون اليهود المنفيين ، أن يذعنوا للتعيمد ، فرد عليهم الربانيون بأن أكدوا أن الله سيهديهم إلى أرض الميعاد ، آملين أن يفتح الله لهم معبراً في البحر مثلما فعل آبائهم في القديم مع موسى عليه السلام ، ولما انقطع عنهم هذا الوهم اضطروا لدفع أجور باهظة لنقلهم بالسفن إلى البلاد المهاجر إليها ، وفرقت العاصف أسطوتهم الذي كان يتألف من خمس وعشرين سفينه ، ومرروا بكثير من المشاق ، حيث تحطم سفينه تحمل حسيناً يهودياً منهم بالقرب من صقلية ، وحكم عليهم بالسجن لمدة عامين ، ثم بيعوا رقيقاً وتعرض بعضهم للحرق وهم أحياء ، حتى قيل : إن ٢٨٠ منهم أحرقوا في سنة واحدة في إشبيلية ^(٢) ."

وتم طرد ٣٠٠٠٠ يهودي من إسبانيا ، فغادروا جميعهم إلى البلدان الإسلامية وشمال أوروبا ، واتجهوا مهاجرين إلى البرتغال وإيطاليا والمغرب وفرنسا والدولة العثمانية .

(١) العيمى : أحمد نورى ، اليهود والدولة العثمانية ، مرجع سابق ، ص ١٤-٢٦ .

(٢) شاهين مكاريوس ، أربع كتب في الماسونية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، مرجع سابق ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٣١ .

في ذلك الوقت كانت البرتغال أكثر الأهداف ملائمة للمهاجرين اليهود فهاجر إليها عدد كبير وصل إلى ثمانين ألفاً مما أفرج ملك البرتغال جون الثاني من حهم مهلة ثانية أشهر على أن يرحلوا بعدها ، كما أصدر أمراً إلى جنوده بالقبض على أولادهم من سن الرابعة عشرة، وإبقائهم في بلاده حتى ينشؤوا فيها نشأة مسيحية ، فكانت النساء يطرحن أولادهن في الآبار والأهار حتى لا يُنصروا .

ولما تفشي بين اليهود مرض الطاعون ، وانتشر بين المسيحيين ، قام شعب البرتغال بالطالبة بطرد اليهود من البلاد فوراً خوفاً من انتشار المرض في كل أرجاء البرتغال ، وقد يسر الملك لهم الخروج عن طريق السفن بأجور زهيدة ، ومات منهم كثيرون جوعاً .

وحينما انتهت مهلة الشمانية أشهر قام الملك "جون" ببيع باقي اليهود المهاجرين إلى البرتغال بيع الرقيق ، وانتزع الأطفال دون الخامسة عشرة من آبائهم ، وأرسلهم إلى جزر القديس توماس لينشأوا النشأة المسيحية التي يريد لها .

وسار الملك "إمانويل" في البرتغال على نهج سلفه ، حيث أمر جميع اليهود الموجودين بملكه أن يتذروا ، أو يخرجوا من البلاد فوراً وكان ذلك إذاعاً لطلب الملك فرناندو وإيزابيلا ، وذلك عام (١٤٩٦م=٢٩٠هـ) كما قاموا بإجراءات قاسية لتصيرهم ، مما أدى إلى وصف أحد الأساقفة لمشاهداته لبعض هذه الإجراءات بقوله :

"لقد رأيت أطفالاً كثيرين يُسحبون إلى حوض التعميد من شعورهم" .

وانتشرت المذابح بين اليهود عام (١٥٠٦م=٩١٢هـ) وقتل فيها ألف يهودي ، ودفن مئات منهم أحياء ، وفقدت إسبانيا بعض المزايا بتزويج التجار وأصحاب المهن والدارسين والأطباء والعلماء من اليهود والمسلمين .

وبناء على رغبة إيزابيلا^(١) قام بابا الكاثوليكي بتأسيس محكمة التفتيش في إسبانيا عام ١٤٧١م، كجزء من الجهود الرامية إلى تقوية المسيحية وتوحيد مواطنها ، وكانت هذه

(١) اعتبر الأنجلسيون حكام محكمة التفتيش "حلفاء الشيطان" ، وهذا رأوا في محكمة التفتيش مكاناً يحكمه "الشيطان الذي اختى من الخديعة والتضليل مستشارين له" وهذا قال أحد الأنجلسيون لمعامل محكمة التفتيش "جلالة الملكة الكاثوليكية إيزابيلا ليست موجودة في الجنة كما يقول المسيحيون بل في الدرك الأسفل من جهنم، لأنما أمست هذه "الظلمة" ، ومعها "اليهود الذين يجب ألا يخرجوا منها بل أن يبقوا تحت رحى الطاحونة التي تطحن رؤوسهم" .

المحاكم عبارة عن دار قضاء للتفتيش ، مهمتها البحث عن حقيقة إيمان العناصر اليهودية التي تنصرت حديثاً وتعقبهم^(١) .

محاكم التفتيش في إسبانيا :

سبق أن ذكرنا آنفًا أن محاكم التفتيش تأسست في إسبانيا عام ١٤٧١ بأمر من بابا الكاثوليكي بناء على رغبة الملكة إيزابيلا لتطهير البلاد من العناصر غير المسيحية . وكانت هذه المحاكم هي المكان الذي يقاضى فيه الأشخاص الذين اعترضوا على المسيحية بمصادرة ممتلكاتهم .

وترجع أسباب تأسيس هذه المحاكم إلى أمور ظاهرية أعلنتها الكنيسة ، بينما كانت لها أهداف أساسية أخرى خفية .

أما الأسباب الظاهرة فكما ذكرها مؤسس تلك المحاكم فهي :

- التأكيد من حقيقة تنصر العناصر المسلمة واليهودية الذين اعتنقوا المسيحية والتحقق من صدق ولائهم للدولة .

- تعقب السحرة والبحث عن المهرطقات الدينية بين المسيحيين نتيجة لانتشار الفلسفة اليونانية .

- حماية اليهود والمسلمين المتنصرين من تأثيرات إخوافهم السابقين في الدين^(٢) .

والقول بأن محاكم التفتيش أنشئت لأجل حماية نقاء العقيدة المسيحية ، أمر غير حقيقي ؛ وذلك لأنه لم يحدث أن حاول أحد من اليهود حق القرن الخامس عشر أن يقضى على معلم الدين المسيحي القائم بلعكس ، فقد كان اليهود يتقربون إلى المحاكم ورجال البلاط بهدف الحصول على الامتيازات المختلفة حتى أن كثير منهم تنصر ، وكان منهم أعداء لإخوافهم في الدين ، وكان اعتماد الأحكام في محاكم التفتيش قائماً على الوشاية ، وكانت أحکامها غایة في الشدة ، فقد شهد عام ١٣٩١ م هجوم الكاثوليكي على المتنصرين في منازلهم ف كانوا ينهوونم ويسلوونهم ، ويأخذون كتبهم وأدواتهم، ويجمعونها في ميدان عام ويشعرون فيها النار، وأحياناً كان يؤتى باليهود مكبلين بالقيود ويلقون في النار^(٣) .

(1) האינציקלופדייה היהודית "דעת". ערך אינקוויזיציה, אוטו דה פה

(2) كان اليهود المتنصرون يسمون المارانوس والمسلمون المتنصرون يسمون الموريسيكين أو المور.

(3) ظاظا : حسن: مرجع سابق ، ص ٢٥٧

أما السبب الحقيقي والخلفي وراء إنشاء هذه المحاكم التفتيسية في إسبانيا والبرتغال فكان الحصول على الأموال^(١) كما صرّح بذلك الكاردينال "لوريزو بوسى" بقوله: "عندما طلب القيصر "يوهان" من البابا "كليمينت السابع" تأسيس تلك المحاكم عام ١٥٢٨ لم يكن سبب إقامتها الخوف والتقوى ومحبة الدين، وإنما الرغبة في الحصول على أموال المتنصرين والاستيلاء على ثرواتهم"^(٢). وهو السر في اقصار المسيحيين على أهتم الأغنياء اليهود المتنصرين.

وبناء عليه فقد صدر مرسوم ٣١ مارس عام ١٤٩٢ والذي يقضى بتغيير الجماعة اليهودية بين النفي أو التعميد^(٣). وكان أول رئيس لحاكم التفتيس توماس دي تور كيمادا وهو مسيحي من أصل يهودي^(٤). وكان الرهبان المتهودون هم الذين يسكنون بزمام حكام التفتيس^(٥).

وكان مفتشو تلك المحاكم يعقوبون كل متنصر يشتبه فيه أنه حاد عن طريق الصواب بسلوك أو نظم حياتية لا تنسق مع المسيحية، ويعذبون المشتبه بهم ويرهبونهم حتى لا يعودوا إلى عقيدتهم اليهودية الأصلية^(٦).

وقد تنوّعت أسباب تلك الاضطهادات بين اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية: فعلى المستوى الاجتماعي، شعر الشعب الإسباني بالكراهية تجاه اليهود الذين تولوا مناصب رفيعة مهمة – كما رفض الشعب المسيحي قبل ظاهرة المتنصرين الجدد وأقموهم بعدم الولاء للحكام المسيحيين والمسيحية الأصلية.

(١) كان مكان إقامة تلك المحاكم في منتصف المدينة، حيث يجتمع أعداد غفيرة من البشر، وكان ميعادها غالباً يوم الأحد والأعياد وأيام التوقف عن العمل، والمهدّف هو تجمهر أعداد كبيرة من المواطنين ليقوموا بإهانتهم وتذكّرهم يوم الديونة في السماء. **האינציקלופדיה היהודית** "דעת" ערך אינקוורייציה, אוטו דה פה דה פה.

(٢) **האינציקלופדיה היהודית** "דעת" ערך אינקוורייציה, אוטו דה פה.

(٣) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות).

(٤) קאסטו אמרקו، مرجع سابق، ص ٥٩٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٦٠٣.

(٦) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות).

ومن الناحية السياسية لم يعد الحكام المسيحيون في حاجة بعد للعلوم التي أجادها بعض اليهود مثل الرياضيات واللغات وغيرها ؛ إذ إن هؤلاء الحكام كانوا يعتمدون على اليهود في تربية أولادهم تربية علمية وثقافية .

أما الجانب الاقتصادي فأثناء الطرد حُرم على اليهودأخذ ممتلكاتهم معهم ، مما أدى إلى إتاحة الفرصة للسلطات المسيحية والملوك لأخذ تلك الممتلكات ، ووضعها في الخزانة الملكية .

وتمثلت الأسباب الدينية لاضطهادهم في الخوف الذي انتاب الملوك من تأثير اليهود السلبي على المسيحيين ، وخصوصاً المسيحيين الجدد للعودة لليهودية ^(١) .

أنواع المحاكم:

كان هناك أربعة أنواع من المحاكم :

محاكم تفتيش عامة ، ومحاكم تفتيش خاصة ، ومحاكم تفتيش صغيرة ، ومحاكم تفتيش أحادية .

و كانت الإجراءات التي تتبع على النحو التالي :

في البداية يسير الدومينيكان أو حاملو الراية ، ثم يأتي بعدهم التائيون ، وبعدهم يأتي حاملو الصليب للتفرقة بين النادمين على أخطائهم وبين المستمررين في عصيائهم ، ثم يأتي حاملو صور المتهمين الذين هربوا وتواكبوا المتهمين الذين ماتوا . ثم يأتي بعدهم الشرطة التابعة لحاكم التفتيش والكهنة الكبار معهم ، ثم يأتي بعدهم واحد أو اثنين من المواطنين الذين قبلوا على أنفسهم أن يكونوا شهوداً على تنفيذ الوصايا ، ثم يأتي في النهاية رجال الجيش .

وقيل أن تبدأ مراسيم تنفيذ الأحكام كانوا يقومون بعدها إجراءات للإعداد لها : حيث يتم تقطيع المذبح ببغطاء أسود ، ويتم وضع كرسين على المنصة أحداًها للمفتش الرئيسي ، والأخر للملك ، ويوجد صليب كبير على المنصة ، فإذا كان الصليب موجهاً نحوية المتهم ؛ فهذا يعني أنه سيلقى شفقة من القائمين بمحاكمته ، أما إذا كان الصليب موجهاً خلفه ؛ فمعنى هذا أنه سيحكم عليه بالموت . وكانت الهيئة القضائية تقوم بجعل المواطنين — الذين

(1) סיכום (היהודים בספרן בין איסלם לנצרות).

قبلوا على أنفسهم أن يكونوا شهوداً على تنفيذ الوصايا — بأن يقسموا ، وبعد القسم كانوا يلقون عذة لإهاب مشاعر الجماهير ، وكان الشرطي التابع للمحكمة يقرأ ما ارتكبه المتهم من خطايا ، وأحياناً كانت تستمر القراءة لمدة يوم كامل ، وفي النهاية يتم إلقاء نص العقوبة الخاصة بالتهم على الجماهير المستمعة والقى تقام في ميدان عام في يوم الأحد حتى يضمنوا جهرة أكبر عدد من المشاهدين رغبة في زيادة الإرهاب^(١).

أنواع العقوبات :

- ١ — عقوبة بالجلد .
- ٢ — مصادرة الأموال والممتلكات .
- ٣ — السجن لمدة محددة أو للأبد .
- ٤ — الموت بالسيف أو بالخنق أو بالحرق .

أما أنواع الخطاة فتشكلوا من:

- ١ — الخطأ الذي قاموا بتحذيره من العودة لليهودية ولم يتبع .
- ٢ — الخطأ الذي تاب ثم عاد إلى عادته السيئة .
- ٣ — الخطأ المستمر في خطئه .
- ٤ — الخطأ الذي ينكر أنه أخطأ .

وبعد انتهاء الحكم كانوا يضربون المتهمين على صدورهم دلالة على انتهاء الحكم ، ويقوم أحد الشرطين غير التابعين للمحاكم التفتيسية بتحمل المسئولية عن المتهم ويكون المتهم تحت حمايته وعندما يتم إعلان حكم بإعدام متهم ما ، كانوا يصرحون بالقول الآتي: "بما أنك عدت خطيبتك فسنقوم بإبعادك خارج الكنيسة ، ونرسلك إلى قضاء الشعب ، ونرجو منهم أن يخففوا العقوبة بقدر ما تستطيع أيديهم التخفيف ، وأن يمنعوا سفك الدماء" وكان الشرطي الخاص يرسل المتهم للسجن ويحتفظون عليه هناك حتى وقت تنفيذ الحكم . وقد وصلت المعلومات الأولى عن محاكم التفتيس التي جرت لليهود في عام ١٢٨٨ من خلال أقوال راي يعقوب بر يهودا و مائير بن إلياف و شلومو سمحا في تراتيل الغفران الخاصة بهم .

(١) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך איבקו ריזנשטיין. صورة محاكم التفتיש في آخر الدراسة .

محاكم التفتيش في البرتغال :

عاش المارانوس اليهود في البرتغال في حرية أكثر من تلك التي كان عليه المارانوس الأسبان لأسباب سياسية ، فقد كان "مانويل الأول" يطمح في تحويل بلاده إلى قوة تجارية عالية ، وذلك عام ١٤٩٥ م ، ومن ثم فقد سمح لليهود بالإقامة بالبرتغال ومنهم حرية دينية، وحصانة من محاكم التفتيش لمدة عشرين عاماً^(١) ، وكان اليهود يمثلون في البرتغال نسبة ١٠% من سكانها، وعاشا فيها بشكل علني ؛ وكان يطلق عليهم "اليهود" أو "الأمة" أو "رجال الأعمال" ، وأصبحوا عن طريق اتصالهم التجارية والمالية يمثلون قوة ضغط داخل البرتغال ، فكان لهم سفير خاص في روما، قام بتقديم رشاوى استطاع من خلالها تأثير محاكم التفتيش في البرتغال^(٢) وقبل أن يقرر مانويل طرد اليهود البرتغاليين بناء على رغبة كل من الطبقات الشعبية والملوك الكاثوليك اجتهد في إبطال هذا القرار عن طريق الأمر بعدم البحث في سلوكيات اليهود طوال ٢١ عام ومعنى هذا تركهم في ممارسة عقيدتهم بحرية^(٣) . ولم يبدأ نشاط محاكم التفتيش אַיְגָה וּזִיכָרִיה الرسمى في البرتغال إلا عام ١٥٣١ في عهد كليمانت السابع^(٤) .

وفي منتصف القرن السادس عشر ، وبالتحديد عام ١٥٦٦ صدر قانون نقاء الدم (טהירות הדם) على يد المشرع التركي سليمان القانوني ، وقد استخدمتها محاكم التفتيش بقسوة ضد اليهود المتصرين في البرتغال ، وشكل هذا القانون خطورة في كشف الأصول العرقية لليهود للقضاء عليها^(٥) .

مارسات محاكم التفتيش ضد المارانوس اليهود :

من الملاحظ أن الأحكام التي صدرت عن محاكم التفتيش ، لم تكن صادرة عن مسيحيين أصليين، بل من اليهود أنفسهم الذين تنصروا.. الذين حاولوا إظهار إخلاصهم للمسيحية

(١) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקווייזיציה.

(٢) المسيري : عبد الوهاب ، اليد الخفية ، دار الشروق ، ١٩٩٨ م ، ص ٨٣ .

(٣) קאסטו אמירקו ، مرجع سابق ، ص ٦٣٤ .

(٤) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקווייזיציה

(٥) المرجع السابق ، ٢٦٧ يوسف נשיא בונה تبرير

وغيرهم عليها ، كما كانت ناتجاً لتصفية حسابات قديمة بين هؤلاء المتصرين اليهود وذويهم ^(١) .

وقد انتشرت في ذلك الوقت الجاسوسية على أيدي رجال الدين اليهودي المتصرين ظهر من بينهم، ما يعرف بـ "الواشى" الذي كانت مهمته التبليغ عن أهل ملته ، وكان هذا الواشى يحصل على عائد مالي مقابل تبليغه عن أخيه من أهل ملته ، وكان عدد منهم يشغلون مناصب الأسقفية والرهبنة ، ومنهم أعضاء في المجلس الأعلى للتفتيش . وكان لفظ الواشى *maisin* منتشرًا لدرجة أنه أصبح ضمن مفردات اللغة الإسبانية ^(٢) ويمكن أن نقول أن أعنف الضربات التي لحقت باليهود المتصرين من جراء محاكم التفتيش كانت على أيدي الحاخامات اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ^(٣) .

ولم يكن الإبلاغ عن مظاهر المفرطة واجباً قومياً ودينياً فحسب بل كان الامتياز عن ذلك يعد جريمة يرتكبها عقاب شديد . في الوقت الذي قدمت محاكم التحقيق إلى جانب التهديد بالعقاب حافراً مادياً ، فكان الواشون يحصلون على مكافآت مالية تتناسب بالأحكام التي تصدر على المتهمين في حال ثبوت التهم الموجهة إليهم .

وكانت المحاكم تصرف لبعض الواشين شهادات "حسن سلوك" يمكن اليهود من استخدامها ، إلى جانب شهادات نقاء الدم ، لشغل المناصب الرفيعة أو المهمة في الدولة . ومع الزمن تطورت الحاجة لحماية هؤلاء الواشين من انتقام ذوى المتهم المدان فكانت المحاكم تحفظ سرية أسمائهم وعنواناتهم ، وتمنع التهم من مواجهة متهمه مهما كانت الظروف أو نوع الأدلة .

وكانت المحاكم تصدر لواح تتنظيمية سنوية توضح الوشاية وتحدد أنواعها ، لذا كان سهلاً على الإسبان ، وحق بعض اليهود ورعا بعض الأنجلسيين أيضاً ، التعرف على نوع المفرطة الذي يمكن إبلاغه إلى عمال محاكم التحقيق .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٢ .

(٢) المراجع نفسه ، ص ٦٠٢ .

(٣) نفسه ، ص ٦٠٥ .

إلاً أن هذه اللوائح كانت خاصة باليهود وببعض المسيحيين ذوي الممارسات الدينية غير الكاثوليكية . واقتضت ضرورات تنفيذ أوامر كارلوس الخامس وضع لائحة خاصة تهيداً للدعوة الشعب الإسباني إلى الوشاية لهم . وتقع هذه المهمة على الحق العامل الذي يجمع العناصر والمظاهر القابلة للوشاشة في لائحة جرى تعليقها في الأماكن العامة يتقدمها أمر بأهمية الوشاية بمن يعارض أيّاً من البدود المذكورة خلال ستة أيام من رؤيتها أو تعریض نفسه للعقوبات الصارمة ومخالفة تعاليم الكاثوليكية .

وقد استندت الأحكام إلى أساس هش ، وكان الضحايا يظلون في السجون سنوات طويلة، وأحياناً يموتون قبل أن تبدأ محاكمتهم^(١) .

وفي هذا الصدد يقول "خان دى ماريانا" المؤرخ التابع لجامعة الجيزرويت "إن الشيء الغريب في الأمر هو أن يدفع الأبناء ما ارتكبه الآباء ، كما أن المتهم لا يعرف من ارتكبه ولا يواجهه ، ولم يكن هناك أى بيان عن الشهود ، وهذا كله مخالف لما حدث في المحاكم السابقة ، كما بدا لهم جديراً معاقبة تلك التهم بالموت ، والأخطر من كل هذا عدم ممارسة الحرية في الحديث فيما بين الناس خشية أن يكون هناك من يشونهم وينبغون عما يحدث ، الأمر الذي أدى إلى حالة خطيرة من الإذلال الذي هو على شفا الموت "^(٢) .

وcameت محاكم التفتيش بوضع المتصرين المجد تحت رقابة شديدة بهدف التأكد من عدم ممارستهم لشعائر دينهم الأصلي بهدف معرفة قدر ولائهم للدولة . وكانت تعقفهم في كل أنحاء العالم ، وارتكبت كثيراً من الفظائع ضد كل متنصر يقوم بشعائر دينه في الخفاء ، وقد نشأت الكثير من الحوادث الدامية مثل ارتكاب أكثر من ١٠٠٠٠ حادثة حرق للمتصرين اليهود على الموقد في المحاكم وأديرة القضاء التي كان يطلق عليها باللغة البرتغالية "الـ ٦٦ فـ ٦٦" أي أحكام تنفيذ الإيمان ، كما تم إحراق الألوف من المتصرين^(٣) .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٧٠٤ .

(٢) مرجع نفسه ، ص ٦٠٣ .

(٣) مكاريوس : ، مرجع سابق ، ص ٦١٩ .

وقد شبه اليهود ما حدث لهم من اضطهاد في إسبانيا بأكثر مما لاقوه في سقوط أورشليم، فذكروا أن أكثر من نصف مليون يهودي أجبروا على ترك البلاد التي سكنوها نحو سبعة قرون، وأجبروا على التخلّي عن أملاكهم وأموالهم حيث تفرقوا في المغرب وإيطاليا وفرنسا وتركيا ، واستمر هذا الاضطهاد في إسبانيا حتى أواخر القرن السابع عشر^(١) .

وقد تم إلغاء محاكم التفتيش في البرتغال في القرن الثامن عشر ١٧٣٩/١٠/١٩ بتدخل من البابوات ، بينما تم إلغاؤها في إسبانيا في القرن التاسع عشر^(٢) .

وعلى هذا فقد استمرت محاكم التفتيش في إسبانيا فترة تقارب الأربعة قرون أما في البرتغال فكانت فترة استمرارها أقل ، حيث تزيد على القرنين بقليل.

وإذا كنا لا ننفي الفظائع وأعمال العنف التي اخترقها محاكم التفتيش ضد المارانوس اليهود فإننا لا نبرئ اليهود من الأفعال والمارسات الاستفزازية تجاه الشعب الإسباني من ممارسة الربا واستخدام الرشوة واستغلال الأموال للضغط على الحكم باعتبارهم مولاً جيداً إلى جانب استيلائهم على مناصب مهمة على حساب أصحاب البلاد الأصليين ، هذا إلى جانب أمور الخيانة والوشایة التي شهدتها تلك الفترة من اليهود أنفسهم الذين خانوا أبناء ملتهم وأخواتهم في الدين وعلى رأسهم الحاخامات اليهود الذين تصرّوا وأصبحوا قساوسة ورؤساء تعليم مسيحيين بل ومشاركين في تنفيذ محاكم التفتيش ضد إخواتهم اليهود .

(١) المرجع نفسه ، ص ٦٢٠ .

(٢) האינציקלופדיה היהודית "דעת". ערך איגנוצייז'ציה

الفصل الثاني

المارانوس بين الظاهر المسيحي والباطن اليهودي

تعتمد الشخصية اليهودية على أسلوب التخفي والتكتم وإظهار ما ليس بباطلها ، ودائماً ما يحرص اليهودي على إخفاء مقاصده الحقيقة بوسائل خفية يتخلصون بها لتحقيق أغراضهم، هذه الوسائل كانت دائماً عبر تاريخهم الطويل والنموذج الذي تتخذه لإبراز هذا هو المارانوس اليهود الذين مارسوا كل الوسائل الخفية والسرية في إسبانيا داخل الأوساط المسيحية حتى يتحققوا أهدافهم التي تتوعد بين مصالح شخصية وسياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، فقد مارسوا كافة الوسائل لإظهار الإخلاص للمسيحية ، وفي الوقت نفسه كانوا يتبعون اليهودية ويعتقدون بعقائدها ويؤدون شعائرها سرّاً .

وسوف نتعرض في هذا الفصل لممارسات المارانوس اليهود وحرصهم على مزاولة العقائد والشعائر المسيحية حيث افتقدوا هويتهم الدينية والأصلية ، كما نتعرض للوسائل التي اتبعوها لأجل إخفاء عقيدتهم وإبراز مدى قدرتهم على التخفي والاندماج في المجتمعات التي يقيمون داخلها.

المبحث الأول

ممارسة المارانوس الشعائر المسيحية

كانت الطائفة المسيحية الأولى في أول الأمر عبارة عن طائفة يهودية مسيحية ثم أصبحت تتألف من المتحولين إلى المسيحية ، وكانت طائفة غير شرعية مارست طقوسها في الخفاء ، ويعد القديس بطرس أول بابا يهودي ، وأول رئيس لكنيسة روما ^(١) . وكان يسوع الناصري يهودياً وأيضاً بولس الطرسوسي ^(٢) .

وكانت العصابات الكنسية المسيحية ، هي مصدر الإرهاب لجماعات المتصرين ، مما جعل التمسك باليهودية من الأمور الصعبة للغاية ، خصوصاً بعد طرد اليهود من إسبانيا عام ١٤٩٢ ، مما أدى إلى قطع البعض كل صلة مع اليهود واليهودية ، وقد توّزعت درجة التمسك باليهودية بين صفوف اليهود المتصرين .

ويتبّع من الممارسات الدينية التي قام بها المتصرون اليهود في المجتمع الإسباني مدى غرّن العنصر اليهودي للسعي لتحقيق مصالحة ولو كان على حساب عقيدته ودينه .

فقد مارس المارانوس الذين تحولوا إلى المسيحية جميع الشعائر التي تقتضيها الديانة المسيحية في العلن كمحاولة لاظهار صدق تنصيرهم . فكانوا يعمدون أطفالهم بحسب التقليد المسيحي، وينهبون إلى الكنيسة يوم الأحد ، وينهبون للاعتراف دون أن يدلّوا بأية اعترافات حقيقة، وكانوا يتناولون القربان في الكنيسة ثم يبصقونه خارجها ^(٣) .

(١) برزن يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٥ .

(٣) وهو تابع للعشاء الرباني "الأفخارستيا" في الطقوس المسيحية ، ويوجّب على المسيحي تناوله ويكون بالخمر أو الماء ومعه الخبز الجاف الذي يتحول "في زعمهم" الماء أو الخمر إلى دم المسيح والخبز إلى عظامه ، ومن يتناوله يبتز في تعاليمه ، ويعتقدون أن المسيح أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه قبيل ذهابه إلى بستان جشيماني ويعتقدون أن الخبز يتحول إلى لحم المسيح في لحومهم وقد ورد في إنجيل متى ٢٦-٢٨ : "وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخْذُ يَسُوعَ الْخَبَزَ وَبَارِكُ وَكَسَرُ وَأَعْطَى التَّالِمِيدَنَ وَقَالَ: خُذُوا وَكُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي" ويستعمل الكاثوليك الفطير بدلاً من الخبز المخمر . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف

وداخلياً : كان معظم المارانوس اليهود يعتقدون أن الخلاص سوف يتم من خلال شريعة موسى، وليس عن طريق الكنيسة أو المسيح ، ويؤمنون بأن تنصرهم القسري هو جزء من العقاب الإلهي الذي حاصل على اليهود ، تماماً مثلما حدث لليهود أثناء النفي وقد مثلت شخصية "إستير" مثالاً للفكر الديني لدى المارانوس باعتبارها صورة مُسبقة لما يحدث لهم ؛ وذلك لأن إستير، اضطرت إلى إخفاء هويتها الدينية مدة من الزمن ، حتى تحرز مكانة متميزة داخل البلاط الفارسي .

وخلال قصة إستير كما وردت في الكتاب المقدس ^(١) أن ملك الفرس "أحشويروش" - كان قد اتخاذ له وزيراً اسمه "هامان" . وكان هذا الوزير يكره رجالاً من حكماء اليهود ، اسمه "مردحائى" ، كراهية شديدة تعدد شخصه إلى الجنس اليهودي كله ، بحيث أقسم هامان أن يقطع دابرهم جميعاً من بلاده . وأجرى هامان القرعة لاختيار يوم مذبحه اليهود ^(٢) وأسفرت هذه القرعة عن تحديد الثالث عشر من آذار (مارس) موعداً لتنفيذ عملية الإبادة في اليهود ، وأعدت مشنقة في الساحة العامة حتى يعلق فيها مردحائى اليهودي . وكان مردحائى لهذا وصياً ولوثياً على قرينته "إستير" التي كان جمالها مضرب الأمثال . وكان "أحشويروش" ملك الفرس عاشقاً لها مغرياً بها بحيث أفسح لها مكاناً في قاعدة ملكه ، وأبدى في مناسبات كثيرة الطاعة لأمرها لدرجة أنها كانت تسمى "الملكة إستير" .

وتحكي أحداث القصة التوراتية ان اليهودي مردحائى ذهب مستتجداً إلى إستير ، فأجابته بقوها "اذهب وأجع كل اليهود الذين في شوشان (عاصمة المملكة التي تسمى سوزه أيضاً) وصوموا لأجلى ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً ، وأنا ووصيفاتي نصوم كذلك، ثم أدخل على الملك ، على خلاف العادة ، فإن هلكت هلكت" وتستمر القصة من سفر إستير فتقول :

مانع بن حماد الجبهي، ط ٤ ، دار الندوة العالمية للطبع والنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ — ٥٧٦/٢ .

(١) تقول الفقرة في التوراة : "اذهب أجمع جميع اليهود الموجودين في شوشن وصوموا من جهة ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً وأنا أيضاً وجواري نصوم كذلك ، وهكذا ادخل إلى الملك خلاف السنة ، فإذا هلكت هلكت . فانصرف مردحائى وعمل حسب كل ما أوصنه به إستير" . سفر إستير ١٦/٤ .

(2) البوريم عند اليهود ، القرعة وكلمة القرعة في اللغة الفارسية "بور" أو "فور" ، وجمعها بالعبرية "بوريم" .

"وكان في اليوم الثالث أن لبست إستير ثياب الملك ، ووقفت في ساحة دار الملك الداخلية... فكان لما رأى الملك إستير الملكة واقفة في الساحة ، أنها نالت حظوة في عينيه ، فمد الملك لإستير صوجان الذهب الذي بيده ، فتقدمت إستير ، ولبست رأس الصوجان ، وقال لها الملك : مالك يا إستير الملكة ، وما بغيتك ؟ ولو كانت نصف الملكة فإنما تعطى لك . فأجابت إستير : إن حُسْنَ عند الملك ، فليأت الملك وهامان هذا اليوم إلى الوليمة التي أعددتها له . فقال الملك : استعجلوا هامان ليفعل كما قالت إستير . فخرج هامان ذلك اليوم فرحاً طيب القلب .

ولما رأى "هامان الفارسي" ، "مردخای اليهودی" بباب الملك ، وأنه لم يقم له ولم يتحرك، امتلاه هامان غيظاً على مردخای . ولكن هامان ضبط نفسه ، وجاء إلى بيته وأرسل فاحضر أصدقائه وزوجته "زراش" . وحدثهم هامان بعظمة ثروته وكثرة بنيه وكل ما كرمته به الملك ، وكيف رفعه على الزعماء وعبد الملك . وقال هامان : وفوق ذلك فعل إستير الملك لم تدخل أحداً إلى الوليمة التي صنعتها إلا إباهى مع الملك ، وأنا غالباً مدعو أيضاً إليها مع الملك ، إلا أن هذا كله عندي لا شيء ، ما دمت أرى مردخای اليهودی جالساً بباب الملك فقالت له "زراش" زوجته وجميع أصدقائه: لتصنع خشبة بعلو حمرين ذراعاً ، وغداً كل ملوك فيعلق عليها مردخای ، ثم ادخل مع الملك إلى الوليمة مسروراً ، فحسن الأمر عند هامان وصنع الخشبة .

وتستمر إستير هي ومردخای في حبك المؤامرة ، والملك يسخر معها حتى انتهى الأمر بشنق "هامان" على الخشبة التي كان قد أعدها لمردخای ، وسلم الملك بيت هامان لإستير التي عينت فيه مردخای وكيلًا . ويقول سفر إستير أنه في اليوم الثالث عشر من آذار الذي كان فيه أعداء اليهود يرجون التسلط عليهم ، "انقلب ذلك فكان لليهود التسلط على مبغضיהם . إذ اجتمع اليهود في مدارئهم ، في جميع أقاليم أحشوايروش الملك ، لكن يلقوا أيديهم على جميع طالبي مساءئهم ، فلم يقف أحد في وجههم ؛ لأن خوفهم وقع على جميع الشعوب . وكان جميع رؤساء الأقاليم والأقطاب والولاة ووكلاه عمل الملك يساعدون اليهود ، لأن خوف مردخای وقع عليهم . إذ كان مردخای عظيماً في بيت الملك ، وقد سار ذكره في جميع الأقاليم ، لأن مردخای كان آخرًا في العظمة فضرب اليهود جميع عدائهم ضرب السيف والقتل والإهلاك .

وأما اليهود الذين في شوشان فإنهم اجتمعوا في الثالث عشر والرابع عشر من شهر آذار (مارس)، واستراحوا في الخامس عشر منه ، وجعلوه يوم وليمة وفرح ؛ ولذلك جعل اليهود الذين في القرى ، الساكنون مدائن غير محصنة ، اليوم الرابع عشر من شهر آذار يوم فرح ووليمة ، ويوم خير وتوجيه "أنصبة" من بعضهم إلى بعض ... لذلك دعوا هذيناليومين بوريم أحدا من اسم البور. وسن اليهود وأوجبوا على أنفسهم وعلى نسائهم وعلى كل من يتصل بهم، ألا يبطل تعييدهم هذيناليومين بحسب كتابتهما وأوقاهما كل سنة^(١) .

ومن سياق قصة إستير نجد أنها استطاعت بالتخفي والمكر والخداع ان تستبدل القاتل بالمقتول والوصول إلى السلطة لذا فقد اعتبر المارانوس أن أسلوب حيائهم التخفي في إسبانيا يتسق مع ما فعلته إستير في فارس .

ونظراً لازدواج شخصيات المتصرين فقد ازدوجت ممارساتهم العبادية ، ويظهر ذلك من خلال حرصهم على الذهاب إلى الكنائس المسيحية ، والصلة التي يزدوفها ، في الكنائس المسيحية وتناوهم الخبر الكنيسي ، وإظهار ولائهم الكامل للقسيسين والأساقفة ، وفي نفس الوقت كانوا يحرضون على أداء شعائرهم اليهودية داخل بيوقم ، ويقدون شمع السبت ، ويختلفون بالأعياد اليهودية ، حتى بات من الصعب كشف هويتهم الدينية .

وكان أول عمل يقوم به المتصر حين يدخل المسيحية هو التعميد ، ويحمل التعميد معنى مهما ؛ لأن الكاثوليكية تعتبره عقداً بين المعمد والكنيسة فإذا أخلبه حق عليه العقاب ، ويجب على محاكم التحقيق اعتقاله أينما كان ومهما كانت جنسيته . وعندما فرضت الكنيسة على الأندلسين قبول هذا العقد لم يبق بعد ذلك سوى متابعته ؛ لذا نجد أن الملك ألفونسو "مانريك" أمر في آيار (مايو) ١٥٢٥ جميع الأندلسين المعمدين بالتوجه إلى كاتدرائية بلنسيا لإبرائهم من قم الهرطقة ، وتوعد من يرتد منهم بعد التعميد بالإعدام ومصادر الأموال والمتلكات .

وفي ١٣ أيلول سبتمبر عام ١٥٢٥ وجه كارلوس إلى الأندلسين في بلنسيا أمراً بقبول التعميد رغبة في "إنقاذ أرواحهم وانتزاعهم من الضلال الذين يعيشون فيه" في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه تم إجبار الأندلسين على التعريف بأنفسهم عن طريق وضع

(١) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ - ١٧٥ .

هلال من قماش أزرق على قباعهم بحجم البرقالة ، وخلف به أيضًا قرار آخر صدر في ١٨ تشرين الثاني من العام ذاته يأجبار الأنجلوسيين على الإبلاغ عن أي متحول يرجع إلى دينه . أما آخر سلسلة القرارات التي عرفها العام ١٥٢٥ فهو الذي صدر في الثامن من كانون الأول (ديسمبر) ونص على وجوب قيام محاكم التحقيق والكنيسة بعميد جميع المتحولين قسراً قبل ٣١ كانون الثاني (يناير) من العام بعده .

وكان أداء التعميد المسيحي يعد ميلاداً جديداً للمنتصر، يتبعه تحوله إلى اسم جديد مسيحي غير مسماه اليهودي المعروف ، ومثال على ذلك أسرة بيرليوني التي تحولت كلها في روما إلى المسيحية عام ١٠٣٠ وأدت طقوس التعميد وكان رئيس هذه العائلة هو "باروخ" الذي أطلق على نفسه اسمَّا مسيحيًّا هو "بندكتوس" أي المبارك حيث أعلن نبذه لاسمِه العربي ودينه^(١) .

أما إجراءات طقوس التعميد التي مارسها المسيحيون فتمثلت في الآتي :

- كان الكاهن يقوم بال النفخ في وجه المنتصر كما نفخ المسيح روح القدس في حواريه .
- ثم يشير كل منتصر إشارة الصليب على جبهته وكفيه .
- ثم تلتى صلاة القربان المقدس .
- ثم يوضع في أفواه المتصristين ملحًا ، ويقصدون به ملح الحكمة المقدس وذلك حتى يكتسب المعتقد الجديد المناعة والقدرة التي تساعده على مقاومة الفساد - بحسب اعتقادهم .
- وبعد ذلك يقوم المنتصر المعمد بالركوع من أجل الاستغفار .
- ثم يستعدون لمغادرة الكنيسة فيتناولون الخبز واللحم على المذبح .
- ثم يتناولون العشاء الريان المقدس^(٢) .

وبالنسبة لعقيدة المسيحي فإن كل شخص غير معمد يكون جسمه مكاناً لسكن الشيطان وبعد التعميد يصبح مسكنًا للمخلص يسوع^(٣) .

وكان اليهودي المتحول للمسيحية يلتزم بأداء قسم أمام الكنيسة وهو كالتالي:

(١) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥١ ، ٥٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٠ .

- أقسم قسماً مغلظاً أنني أعتقد بأن الضحايا المسجلة في العهد القديم ، ما هي إلا بشائر للتضحية المقدسة الكبرى للمسيح ، كما عانوها على الصليب .
- أقسم أن قضية خلاص الإنسان من خلال المسيح ، قد أعلن عنها الرب في وعوده لإبراهيم والرسل الآخرين ، وأن هذا الأمر لم يعره الإسرائييليون أى اهتمام ، بل على العكس صلباً المخلص المنتظر وهو المسيح نفسه .
- أقسم أن إن الخزت أو ترددت عن هذا الإيمان الحقيقي ، وهو إيمان الكنيسة الكاثوليكية، بأن أستحق الموت .
- أقسم أن عن طيب خاطر ، وبشكل طوعي ، ومن كل قلبي ، وروحى وقدرتى أقبل شريعة المسيح، وأرفض كل شريعة عداتها ، وأنه طبقاً لدیني القديم الذى وضع في العهد القديم يلزم شاهدان أو ثلاثة لإقرار الحق ، وازهاق الباطل ، ولكن حقيقة المسيح قد أثبتتها إثنا عشر شاهداً ، وهم حواريو المسيح الاثنا عشر .
- أقسم أنه مع أن شعبي وأنا قد رفضنا المسيح سابقاً ، إلا أنها الآن قد قبلناه في مجده وعلاه .
- أقسم أنني أعتقد الآن أن مجىء المسيح قد ثبت بشهادة التوراة والأنباء .
- أقسم أنني أرفض شرائع ومبادئ اليهود ، وسوف أتناول الأطعمة ، التي حرمتها الشريعة اليهودية ، ما لم يكن تجبيها أمراً طبيعياً غير صادر عن الخرافات والأساطير القديمة .
- أقسم أنني من الآن فصاعداً ، سوف أمتبع عن الاتصال باليهود الذين لم يتتحولوا بعد.
- أقسم بأن أسلم إلى السلطات اللاهوتية المسيحية جميع الكتب التي بحوزتي بما فيها الأبوكريفا (المذوف من التوراة) حتى أتجنب الوقوع في أي اشتباه أو شك في إخلاصى وولائي للدين الجديد .
- أقسم ألا أقترب من الكنيس اليهودي ، وبالتأكيد ألا أدخل أى بيت يهودي للعبادة ، بل أوجه خطواتي نحو طريق آخر حتى لا أمر ببيت العبادة ذاك.
- أقسم أن كل ما قلته في هذا القسم صحيح بالنسبة لنفسي وبالنسبة لأفراد عائلتي^(١).

(١) برترن يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

وقد كان أي انتهاك لهذا القسم ينال عقاباً صارماً والعقاب هو :
إذا عاد المتحول واشترك في عيد الفصح اليهودي كان يعاقب بالجلد - مئة جلدة
بالسوط - مع مصادرة أملاكه وربما نفي ^(١) .
وهناك وثيقة تدعى البلاستيوم وهي التي توجب على كل يهودي يتصر أو يتعمد أن
يقع عليها وجاء فيها :

"أتعهد إنني لن أدنس أو أهجر الدين المسيحي المقدس ، الذي قد قبلته من خلال ماء التعميد ، ولن أخالفه لا بالأقوال ولا بالأفعال ، ولن أسبب له أية إهانة أو إساءة علنية أو سرية ، ولن أزوغ عن التعميد الحقيقي ، لا بالهرب ولا بالاختباء ، ولن أفكر في حياتي بالرجوع إلى الأخطاء الماضية ، ولن أحاول أن أخلص من الالتزامات التي أتعهد بإنجازها ياخلاص ، وأثبتها بتوقيعى الخاص فى أسفل هذا التصريح ، ولن أحاول إخفاء أى شخص يتورط في عمل المحرمات المنوعة وفي العادات والتقاليد اليهودية الشيطانية ، وأعد أن أسلم هذا الشخص إلى السلطات الكنسية ، وأن أعلم وأخطر هذه السلطات عن أية إشاعة تشير إلى مكان اختباء هذا الشخص ، وإن على قام العلم أن أى خرق أو تدنيس لهذه الالتزامات التي تعهدت بها استحق عليه عقوبة الموت ، ولن احتفل بعيد الفصح اليهودي ، ولا أى عيد يهودي آخر ، ولن أتزوج أية امرأة يهودية ، ولن أمتنع عن تناول أى طعام أو التزم بأى نوع من المأكل عدا المأكل والأطعمة المسيحية" ^(٢) .

ويلاحظ إحاطة القسم بكافة النواحي الإيمانية للفرد المتصر داخل المسيحية التارك اليهودية بل وتعدى القسم الجوانب الإيمانية إلى كافة الجوانب الحياتية والسلوكية بحيث يقطع المتصر أى صلة له بدينه القديم وهو اليهودية ، وفي الوقت نفسه يوثق كل الصلات بدينه الجديد وهو المسيحية .

ويلاحظ أيضاً أن الالتزام بتطبيق المسيحية كان صارماً وان أى هماون عن هذا الالتزام سوف يعرض صاحبه لعقوبة شديدة تصل إلى الموت أو الحرق .

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(2) المرجع نفسه ، ص ٦٠ ، ٥٩ .

لكن على الرغم من تلك العهادات والالتزامات إلا أن اليهود المتصرين لم يتزموا بها ببراعة فقد اتضح من فحص عدد من الوثائق الخاصة بمحاكم التفتيش ، ووثائق أخرى أن عدداً كبيراً من المسيحيين الجدد ظلوا متمسكين بعقيدتهم اليهودية ونجحوا في إقامة حياة يهودية سرية في إطار طائفي تنظيمي ، حيث كانت تتم اجتماعاتهم سراً داخل منازل خاصة على مدى ٢٠٠ عام ، وقد تحكمت محاكم التفتيش من تعقب عدد من المسيحيين الجدد الذين ذهبوا إلى أوروبا ، وعادوا ليهوديتهم ، أما المسيحيون الجدد في البرتغال فكانوا أصحاب بأس وقوفة داخلية تباع من قوهم العقائدية ، ومعرفتهم الخيرة بالعادات والنظم اليهودية^(١) .

(١) ליסק. רבקה שפק (ד"ר). *לקחים ההיסטוריים. יהדות סודית בצל האינקוויזיציה* .

المبحث الثاني

أساليب المارانوس في ممارسة الشعائر اليهودية

حرص المارانوس الذين أبطنوا اليهودية على أداء طقوسهم وشعائرهم الدينية اليهودية
بأشكال سرية مستخدمين أساليب عده من أجل إخفائها ومن هذه الأساليب :
• كان المنتصرون اليهود يستخدمون كوداً سرياً كـ ٣٦٥٥ لأجل التعرف والاتصال
بذويهم في أي مكان في العالم ؛ وذلك حفاظاً على سرية المراسلات بينهم ، حيث تم
الاحفاظ بعدد من الوثائق المكتوبة من جانب اليهود في المتحف البريطاني بشكل كود
شفي سري . وكان كل منهم يعرف أخاه اليهودي عن طريق وضع يده اليمنى على رأسه
اثناء الحديث ، وكانت صيغة السؤال وصيغة الإجابة من وسائلهم للتعرف على أقرائهم من
اليهود المتصررين ^(١) .

- كان املاك تماثيل القديسين أمراً معتاداً في البيوت المسيحية^(٤)؛ لذا فقد قام التنصرون بالاحتفاظ بتماثيل القديسين في بيوقم لدعائي الشعور بالأمان ، لكنهم كانوا

(1) ליפס. רבקה שפק (ד"ר). ל��חים הסטודריים

(٢) ظاظاً، مرجع سابق، ص ٢٥٨.

<http://he.wikipedia.org/wiki/> (3)

(4) يعتقد المسيحيون بالإيمان بالسيدة مريم العذراء ، وألما والدة الإله ، ولذا يوجبون تقديسها كما يقدسون القديسين والأقوان غير الجسمة ويتخذونها رمزاً وشعاراً ، الموسوعة الميسرة في الأديان والملائكة ، مرجع

يوجهون وجوه هذه التماثيل تجاه الحائط . وحين زيارة أحد من المسيحيين مترجم ، كانوا يديرون وجوه التماثيل المسيحية تجاه الغرفة وليس للحائط وحين مغادرة المسيحيين لمترجم كانوا يقومون بضرب تلك التماثيل **הכאת פסל קדושים והסתרת פניהם**^(١) .

- وهدف التمويه كان لمنتصرون يؤشرون على جاهم وصدورهم بعلامة الصليب بينما يستعملون نصف العالمة فقط ^(٢) .

- استطاع بعض المتصرين إقامة عدد من المعابد اليهودية سرًا ، في مناطق مختلفة في العالم وكان أعضاؤها منضمين لطوائف في أماكن أخرى مثل ولاية "مكسيكو سيتي" ، وفي إسبانيا الجديدة ، وفي عدد من المستوطنات التابعة للسلطات الإسبانية ، كذلك كان الأمر مع طوائف "ريو دي جانيرو" ، والشمال الشرقي للبرازيل وغيرها ^(٣) .

عقيدة المارانوس في قدوم المسيح **אמונה בבוא המשיח**:

لم يؤمن المنتصرون بالثالوث المقدس المسيحي ، ولم يؤمنوا بيسوع المسيح ، لكنهم كانوا يؤمنون أنه عندما يأتي المسيح ابن داود ، سوف يتم تخلصهم ويستطيعون أن يحيوا في سلام ودعة . كما كانوا يشعرون بالإثم ، بسبب تنصرهم إلا أنهم مع ذلك كانوا يستخدمون الصليب ويضعونه على صدورهم ظاهريًا ؛ لذلك اعتادوا أن يصوموا ، وقاموا بتأليف صلاة خاصة لطلب السماح والغفران من رب إله إسرائيل ^(٤) .

(١) أجاز الكاثوليك عبادة الصور والتماثيل ويعتقدون بوجوب تكريم أيقونة المسيح والعذراء مريم والقديسين ، ويرون أنه من الواجب السجود لبصايا القديسين وتكرّعهم والضرع لهم إلى الله ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، ٥٩٤/٢ . أما العهد القديم فقد هي عن تقديس التماثيل وهو ما جاء في سفر الشفاعة ٨ : " لا تصنع لك تماثالاً منتحولاً ، ولا صورة ما ممّا في السماء من فوق ، وما في الأرض من أسفل ، وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ، ولا تعبدهن لأنّا أنت رب إلهك غيرّك " ، وجاء في الشفاعة ٤ : ١٥ " فاخذروا لأنفسكمْ جدّاً ، فلتّمْ لئُرروا صورة ما حين خطبكم الرّبُّ في جبل خوريّب من وسط السارِ . لئلاً كفسدوا ففتحوا لكم تمثالاً لصورة ما ل美貌 رجل أو امرأة " وفي سفر اللاويين ٢٦ : ١ : " لا تصنعوا لكمْ أصناماً ، ولا تقيموا لكمْ تماثيل متحوّلةً ، أو أصناماً مقدّسةً ، ولا ترتفعوا حتىّراً مصوّراً في أرضكمْ لتسجّدوا له " .

(٢) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) ליטק. רבקה שפק (ד"ר). **להרים הפטזוריים**

هذا وقد مارس المارانوس شعائرهم اليهودية بطرق سرية وخفية حتى لا يلفتوا أنظار المراقبين المسيحيين لهم ، وفي الوقت نفسه يشعرون ببعض الأمان الداخلي في أداء شعائر دينهم الأصلي الخظور عليهم أداوته في الظاهر .

كيفية تطبيق المارانوس لطقس الختان :

يطلق على الختان في اللغة العبرية "ميلاه" (מִלָּה) ويطلق عليه أيضًا بريت ميلاه "ברית מילאھ" أي عهد الختان وبعد من أهم الشعائر والفرائض الدينية في اليهودية ، فالطفل في الشريعة اليهودية يختنق بعد ميلاده بسبعة أيام على الأكثر - حتى ولو وقع اليوم السابع في يوم السبت ، أو في عيد يوم الغفران ، أكثر الأيام قداسة ، وقد أمر بالختان منذ عهد إبراهيم - عليه السلام - وهو رمز للعهد المبرم بين رب اليهود ودليل ارتباط الطفل بعقيدته اليهودية .

لذا فقد سبب القيام بطقس الختان مشكلة كبيرة لدى المارانوس اليهود ؛ نظرًا لأنه كان محظورًا عليهم الختان باعتبارهم مسيحيين ، وفي الوقت نفسه كان لابد من أدائه باعتبارهم يهودًا، لذا فقد حاولوا إخفاء خافهم عن حاكم التفتيش ، عن طريق جرح القلفة ، وليس استئصالها كاملاً^(١). ويقول د. حسن حنفي : "بالرغم من تخلى يهود إسبانيا عن دينهم وتحولهم إلى الكاثوليكية... إلا أنهم حافظوا على طقس الختان رمزاً للرباط الأبدي بينهم"^(٢).

(١) ל'יסק. רבקה שפק (ד"ר). *לקחים הסטודיות* . وقد ذُكر الختان في العهد القديم في ثلاثة مواضع ألمها في سفر التكوير (١٧ - ١٥) [هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيقي وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختنق منكم كل ذكر ، فتحتثون في لحم غرلكم ، فيكون علامه عهد بيقي وبينكم ابن ثانية أيام يختنق منكم كل ذكر في أجياكم وليد البيت ، والمتناع بفضنة من كل ابن غريب ليس من نسلك يختنق خنانًا وليد بيتك ، والمتناع بفضنته ، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبداً ، وأما الذكر الأخلف الذي لا يختنق في لحم غرلته فقطع تلك النفس من شعبها ، إنه قد نكث عهدي] . الشامي : رشاد : موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٧٤ - ٧٥ . والشامي : رشاد ، الرموز الدينية في اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، عدده ١١ ، ٢٠٠٠ ، ص ١١٠ .

(٢) إسبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم حسن حنفي ، مكتبة الأنجلوس المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ م ، مقدمة الترجمة ، ص ٥٦ .

محافظة على شعائر السبت :

يعد السبت عيداً أسبوعياً عند اليهود وهو يوم مقدس يبدأ من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت وقد ورد السبت في التوراة في الوصايا العشر التي ذكرت في سفر الخروج ^(١) وفي سفر التثنية ^(٢).

وأهم شعائر هذا اليوم عند اليهود كما ورد في سفر الخروج ، الكف عن أي عمل ، وذلك لأن الله استراح فيه بعد انتهاءه من تكوين الخليقة ، ويحرم فيه القيام بأي حرفه ، ويحرم إيقاد النار فيه ولكن تقاد في الشموع ، كما يحرم السفر فيه ، كما حرموا فيه إنفاق النقود والبيع والشراء ، وحرموا الكتابة أو استخدام أقلام أو نقود أو كبريت ، وخروج اليهودي في هذا اليوم يكون للmund فقط حاملاً التوراة أو كتاب الصلوات ، كما يحرم فيه عقود الزواج وال الحرب إلا في حالة الدفاع فقط ^(٣).

وقد سببت المحافظة على شعائر السبت "צמירות השבת" إشكالية كبيرة لدى المارانوس في أدائهم لتلك الشريعة المقدسة ، حيث إن عدم إشعال الشموع "הדלקת נר" يوم السبت يعد خطيئة في اليهودية تستوجب الموت ؛ لهذا فقد اعتادت نساء المتصرين إيقاد الشموع وأخفاها تحت الموارد ، وتغطية التوافد بقمash أسود اللون حتى لا يراهم أحد ، وكانت بعض الأسر تشعل الشموع طوال العام بما فيها أيام السبت والأعياد اليهودية — حتى لا يتم كشف أمرهم ^(٤) كما اعتاد المارانوس اليهود إعداد طعام السخينة

(١) في شأن شريعة السبت عند اليهود ورد في سفر الخروج (٢٠ / ٨ - ١١) : اذكر يوم السبت لنقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إنك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنته عبدك وأمتك وهيمنتك وزبيلك الذي داخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والسماء والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.

(٢) جاء في سفر التثنية (٥ / ١٢ - ١٦) : احفظ يوم السبت لنقدسه كما أوصاك الرب إنك ستة أيام تستغل وتعمل جميع أعمالك وأما اليوم السابع فسبت للرب إنك لا تعمل فيه عملاً ما أنت وابنك وابنته عبدك وأمتك وثورك وحارث وكل هائمتك وزبيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجنك الرب إنك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة ، لأجل ذلك أوصاك الرب إنك ان تخفظ يوم السبت ، ظاظاً ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٧ .

(٤) ליבק. רבקה טפּק (ד"ר). ל'קחים היסטוריים .

أو الدفينة يوم الجمعة^(١) ويظل الاحتفاظ بذلك الطعام طوال يوم السبت ، وعند حلول يوم السبت كان المتصرون يرتدون ملابس نظيفة ويفتحون حواناتهم ، لكنهم كانوا يتهربون من البيع لأن الشريعة اليهودية تحرم البيع يوم السبت^(٢) . وقد كشف أحد المفتشين الكنيسين المكلفين بتعقب أحوال المتصرين اليهود في أشبيلية ، ممارسة المتصرين لشعائر السبت فيقول :

" لو أردنا معرفة كيف يحافظ المتصرون على وصايا السبت فلنذهب ونصلد إلى البرج ، فسنجد أنه لا يوجد بيت من بيوت المتصرين يتصاعد منه دخان ، لأنهم لم يوقدوا ناراً بسبب وصايا يوم السبت"^(٣) .

المارانوس والابن البكر :

اهتم الشريعة اليهودية بالابن البكر ، ويعد خليفة لأبيه في كل شيء عند القبائل الأولى . فهو يستولي على السلطة من بعده ، ويكون هو المتصرف في كل ثروته ، وكثيراً ما كانت المنافسات تشتعل بين الإخوة الصغار وأخيهم الأكبر البكر بسبب هذا . كذلك كانت تحدث مؤامرات ، ومغارات حول انتزاع هذا الحق والاستيلاء عليه . وقصة يعقوب وتأمره مع أخيه "رفقة" على انتزاع هذا الحق الذي كان لأخيه "عيسو" من أبيهما إسحاق عندما شاخ وقد بصره مشهورة ، ومذكورة بتفاصيلها في الإصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين في التوراة . وفي الفقه اليهودي المعمول به الآن يكون "الولد البكر من الأب مثل حظ الولدين، فهو مميز بهم بعلة البكرة"

وقد اعتاد المتصرون أن يخفوا عن أبنائهم أصلهم اليهودي حتى يبلغوا سن التكليف^(٤) لكنهم كانوا يخلفونهم ألا يفشوا سرهم ، أما الابن البكر "הבן הראשון לכהנויות"^(٥) .

(١) الدفينة أو السخينة مجموعة من المأكولات التي يتم طهيها على مدى فترة طويلة وعلى نار هادئة ، وتختلف مكونات هذه الأطعمة حسب عادات كل طائفة يهودية ، لكن بشكل عام الدفينة تشمل بطاطس وبطاطاً وثوم وفاصولياء وبهارات ، وبعد ساعات عديدة من الطبخ ووضع الدفينة على النار يتحول الطعام ويأخذ لوناً آخر ، وهذه الأطعمة من عادات السبت عند اليهود wikipedia.org. لا ٦٧٥.

(٢) ליבקָה שְׁפָק (ד"ר). ללחימת הסטוריים

(٣) האינציקלופדייה העברית ע ٣٥٥ – ٣٥٦.

(٤) يسمى الابن البالغ في العربية "בר מצوهه" بارمسفاه وتحدد اليهودية سن البلوغ أو الرشد عندما يبلغ الصبي الثالثة عشرة من عمره فيعبر "بارمسفاه" أي الرجل المسؤول ، أما سن البلوغ عند الفتاة فهو سن الثانية عشرة وعندما يطلق عليها "בת مitzvah" وتكون ملزمة بالقيام بجميع الفرائض الدينية .

mitzvah.wikipedia.org/wiki/Mitzvah

(٥) ظاظا، مرجع سابق، ص ١٩٥ .

فكانوا لا يخرون بسرهم بل يرسلونه ليعلم بالكنيسة ليعرف أخبارها^(١).

سرية الاجتماع للصلوة *התקנות לסתירה* :

الصلوة في بداية ظهور العودة كانت عبارة عن تقديم القرابين للآله وكانت في عهد الأنبياء الأوائل غير محددة ولا إجبارية ، وكان الأنبياء يصلون صلوات تعلق ارتجاليًا حسب الأحوال والاحتياجات.

ولم تبدأ الصلوات في اليهودية بشكلها الحالي إلا بعد تدمير المعبد والسيي البابلي ، وبعد أن بطلت التقدّمات والقرابين حيث بدأت العبادة الروحية بالصلوات .

والصلوة في اليهودية قسمان : فردية ، وجماعية ، الفردية تعلق حسب الاحتياج والظرف الخاص بها مثل صلاة إبراهيم - عليه السلام - لأجل خلاص سدوم وصلاة موسى (عليه السلام) لأجل بني إسرائيل وغيرها .

أما الصلاة الجماعية فهي التي تؤدي في أماكن مخصوصة ومواعيد محددة.

ولم توضع الصلوات الطقسية إلا بعد تأسيس أماكن العبادة كخيمة الاجتماع وهيكل وفي عهد الأنبياء المتأخرین حيث وضعت صلوات قانونية محددة بتوقیفات مثل ما ورد في دانيال وتحددت بثلاث مرات كل يوم^(٢) .

وقد ورد في المشنا في ماسيخيت براخوت (فصل البركات) ٣ / ٣ أن الصلاة في اليهودية فريضة على النساء والرجال فكانوا يصلون جلوساً ووقفاً ويرکعون ويسبدون ويحرضون على وضع الأيدي على صدورهم مع حفي الرأس قليلاً احتراماً للصلوة وتوقيراً لها ، ويقرأ لهم الصلاة الخزان (ويوازي الإمام) بصوت مرتفع^(٣) .

وواضع الصلاة في اليهودية بعد دمار الهيكل الأول هو عزرا الذي جمع رجال الكنيسة الكباري وقاموا بوضعها وهي التي تبع حق الآن^(٤) .

(١) לרבקה שפק (ד"ר). *לקרחים ההיסטוריים* .

(٢) جاء في نص دانيال : فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكموا مفتوحة في عليه نحو أورشليم فجذبها على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك ، دانيال ١٠/٦ . وظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٤ .

(٤) نفسه ، ص ١٤٥ .

أما المتصرون فقد حرصوا على إقامة الصلاة الجماعية (٢٣٦) في معبدهم السري بشكل صارم، وحتى يتم إخفاء الدعوة للمصلين لاجتماع الصلاة ، كان يتم إرسال عبد يرتدي لباساً أحمر ، يقوم بالدق على دف كإشارة للمتصرين أن يجتمعوا وينتهيوا من جميع الشوارع والطرق إلى المعبد لحضور اجتماع الصلاة ، كما اعتادوا الصوم ، وتلاوة التوراة في جماعات ؛ ونظراً لأن نسخ التوراة كانت قليلة ونادرة ، فقد استخدم المتصرون أناشيد ومزامير سفر المزامير الدومينيكانى^(١) .

أيضاً كان المتصرون يقيمون صلواتهم باللغتين الإسبانية والبرتغالية ، ويبلغونها بعبارات عبرية مثل : "اسمع يا إسرائيل الرب إلينا إله واحد" ، وهى آية التوحيد عندهم وتدخل في صلاة الشمام القى هي القسم الأساسي من أقسام الصلاة في اليهودية المأخوذ من سفر الشنية ٦ / ٤ الذي يبدأ بآية التوحيد ، ثم حبة الله وحفظ وصاياه وتعليمها للأبناء ، مع وجوب العكل عنها دائمًا وربطها على الأيدي ، وتكون عصابة بين الأعين ، وتكتب على قوائم الأبواب (المروزاه)^(٢) .

وتلي الشمام في الأهمية صلاة الشماون عشرة بركة وتسمى "شمونه عسرية" وهي التي وضعها عزرا ورجال الكنيسة وهي عبارة عن تسابيح وطلبات وتسليات وشكر^(٣) .

والصلوات الواجبة في اليهودية ثلاثة في كل يوم :

١ — شحاريت (الفجر) ووقتها منذ أن يت彬ن الخطيب الأبيض من الخط الأزرق إلى ارتفاع عمود النهار .

٢ — منحه (القيلولة) ووقتها منذ انحراف الشمس إلى ما قبل الغروب وهي العصر .

(١) الدومينيكان طريقة في الرهبنة المسيحية أسسها الراهب دومينيكوس في القرون الوسطى .

(٢) المروزاه : ورقة بها مجموعة من الفقرات من العهد القديم يقرأها اليهودي تبركاً حين مقادرهه مرله وتعلق على الباب **האינציקלופדייה היהודית** "דעת" ערך מزوזה . وتعنى لافتة على الباب أو عضادة الباب ، وهي بنيانة رقيقة تعلق على أبواب البيوت اليهودية ، وهي عبارة عن صندوق صغير من الخشب أو المعدن أو الزجاج يدخله قطعة من رق (جلد حيوان) مكتوب عليها شهادة التوحيد اليهودية (الشمام) وهو ما ورد في الشنية ٤/٨-٦ والفقرات الواردة في الشنية أيضًا ١٨-٣/٧ وهي ترمز إلى تذكرة بقى إسرائيل بتنفيذ وصايا السرب . الشامي ، رشاد ، الرموز الدينية ، مرجع سابق ، ص ٧٩ - ٨١ .

(٣) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

٣ - عربيت (المساء) ووقتها من غروب الشمس حتى يتم الظلام (العشاء). وطقوس الصلاة في اليهودية تبدأ بالوضوء بغسل الأيدي فقط ثم يوضع شال صغير على الكتفين أما صلاة الجمعة فيستخدم فيها شال كبير يتكون من ثانية أهداب من الخيط أربعة من اللون الأبيض وأربعة زرقاء والأبيض والأزرق يرمزان إلى التعرف على طلوع الفجر^(١).

وهذا الشال يليسه اليهودي بعد بلوغه سن التكليف وهو ثلاث عشر سنة وعند موته ي肯ف فيه . وتغطية الرأس في الصلاة واجبة في الصلاة اليهودية احتراماً وتقيناً ، ويوضع المصلى في وسط جبهته التقلين وأخري على الكف اليسرى وترمز إلى الاهتداء بكلمات الآلة المقدسة^(٢) .

وكان قلة من المتصرين يعرفون الكلمات العربية الخاصة بالصلاحة مثل طالب "طليت"^(٣) وأيضاً كانت قلة من المتصرين يعرفون صلاة الشمانية عشر ، شونيه عسرية "شمروندة نزشراه"^(٤) .

ولم يكن المتصرون يفصلون بين النساء والرجال في الصلاة ، واعتادوا أن يصلوا صلاة الشمام في معبدهم السرى مع رفع أذرعهم أو ضمها لصدرهم — كما في اليهودية — كذلك اعتادوا أن يغطوا عيوفهم بأيديهم اليسرى ، ووضع اليد اليمنى على القلب ، ويوجهون صلواتهم إلى القدس .

(١) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٥٣ .

(٣) شال الصلاة "طالبت" : ثوب يرتديه اليهود من الأرنوذكس والمخافظين وبعنه (شالاً أو عباءة أو رداء) ويرتدية اليهود أثناء الصلاة فوق ملابسهم ، وهو من الملابس الضرورية لرجال الدين ، ولا يصلح إلا باكمال أهدابه تحقيقاً لوصية التوراة بصنع أهداب في أذیال ثياب بني إسرائيل ؛ تكون علامات تذكرهم بوصايا الله وشرائعه (سفر ، العدد ١٥ / ٣٧ - ٤١) وللطالب أحکام في الطهارة ، أهلهما الله لا تلمسه النساء وينصص له مكان معين في المنزل ، وقيل ارتدائه ينبغي على اليهودي أن يقول : "مبارك أنت أيها الله رب إلينا ملك العالم الذي قدسنا بوصايته وأمرنا أن نتذر بالأهداب" رشاد الشامي ، الرموز الدينية اليهودية ، مرجع سابق ، ص ٥٩ - ٦٤ و האיציק לופדיה היהודית דעת .

(٤) البركات الشمان عشرة : "أهم قسم في الصلاة بعد الشمام ، وضعها عزرا ، وورد أكثر ألفاظها وعباراتها في الكتاب المقدس وبعضها في المشنا وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام : تسابيح - توسّلات - تشكّرات . ظاظا : مرجع سابق ، ص ١٤٦ - ١٥٠ .

وأيضاً من وسائلهم في إخفاء شعائرهم أفهم كانوا يعلقون المروزاه على الباب الداخلي
بنازلهم على عكس ما يتم في العقيدة اليهودية بتعليقها خارج المنزل^(١).

محافظة المارانوس على شرائع الطعام في اليهودية :

حافظ اليهود المنتصرون على الشرائع اليهودية الخاصة بالطعام **כישרונות** بتطبيق عادات
الذبح حسب قوانين الشريعة اليهودية **שזירתה כשרה**؛ وكان للمارانوس جزارين
يدبحون لحم اللحم ويوزعونه سرا^(٢).

وكان لهم سكين مخصص للذبح ، ويعملون الحيوان من قدميه بعد ذبحه ، لكي يخرج منه
الدم طبقاً للشريعة اليهودية ، ويقومون بتملیح اللحم المذبوح ، وطبقاً للشريعة اليهودية
حرص المارانوس على عدم تناول السمك الأملس^(٣) ، ولم يستخدموها زيتاً مستخرجاً من
الحيوانات لطهي أطعمةهم، وإنما يستخدمون فقط زيت الزيتون، وذلك لأن الشريعة
اليهودية تحرم طهي اللحوم بزيوت حيوانية بل يستخدمون زيوتاً نباتياً^(٤) ولم يكن
للمارانوس أو ان خاصة لفصل الأطعمة المستمدّة من اللبن ومشتقاته عن الأطعمة الخاصة
باللحم^(٥). لكنهم لم يدخلوا الأطعمة المعتمدة على لحم الخنزير إلى بيتهم طبقاً لتحريمها في
اليهودية ، وقد اكتشفت المحاكم التفتيشية ذلك، وكان هذا الأمر أحد الدواعي لإطلاق
لفظ المارانوس اليهود أى الخنازير عليهم^(٦).

ويذكر أنه كان يوجد في عدد من الكاتدرائيات في العصور الوسطى رسم لصورة مجسمة
لخنزيرة تدعى الخنزيرة اليهودية تحت الرسم شرح مكتوب عليه :

(١) בירנבויים אליהו. יהודי עולמי. תבוצעת התשובה של הקצין הפורטוגזי .
www.makorishon.co.il

(٢) קאסטרו אמירקו ، مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

(٣) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٩٨ ، وورد في سفر اللاويين ١٧ / ١٢ [لا تأكل نفس منكم دما] ولأجل تطبيق هذه
الشريعة كانوا يقومون بتملیح اللحم حتى يتأكدوا من خروج الدم منه .

(٥) طبقاً للشريعة اليهودية يحرم على اليهودي أن يختص أولئك بأطعمة اللبن واللحوم، بل يجب عليه أن
يجعل لكل منها أولئك طعام خاصة بكل منها ، وهذا يتضح من الفقرة الواردة في العهد القديم والتي تقول : [
لا تطيخ جدياً بلبن أخيه] سفر التثنية ٢١/١٤ .

(٦) ליטק. רבקה שפק (ד"ר). ללחמים ההיסטוריים

" كما أن الفأر لا يمكن أن يأكل السفور ، كذلك لا يمكن لأى يهودي أن يصبح مسيحيًّا حقًا " وكان هذا الرسم منتشرًا في كثير من الكنائس الالمانية والسويسرية ^(١) .

إجراءات الزواج בتشريعات:

كانت الأمهات والجدات في الأسر المتنصرة ، هن المسؤولات عن تنظيم أمور الزواج ، وكان المتنصرون يحرضون على الزواج فيما بينهم من داخل الأسرة ، حفاظًا على سرية الديانة بينهم بعيدًا عن المسيحيين ، وفي الوقت نفسه اتباعًا للشريعة اليهودية التي تحرم الزواج من الجويسم (الأغيار) .

وقد ظل المارانوس طوال سنوات عديدة على اتصال مباشر بمنظارتهم في مختلف أرجاء العالم مثل إيطاليا ومناطق أخرى في أوروبا ، وأيضًا في الدولة العثمانية ، وذلك من أجل التزود بزيجات للمتنصرين في العالم المسيحي ، وتذكر وثائق محاكم التفتيش أنه كان جزء كبير من هؤلاء الأزواج تخرب لـه عملية الختان ، وفي ليلة الزفاف لم يكن معتادًا إقامة علاقة جنسية حتى تتطهر العروس من دماء العذرية طبقًا للشريعة اليهودية ^(٢) .

عادات الدفن والعزاء מנגה גרי קבורה ואבלות :

مارس المتنصرون عادات الدفن والعزاء كما هو متبع في اليهودية ، ومنها أنه عندما يموت المتنصر اليهودي فـكـان يتم توجيه وجهه ناحية الحائط ، ويتم غسله بـمياه دافـة ، ويـتم تغطيـته بـقمـاش . وـكان هـذا القـماش يتم استـيرادـه من فـرـنسـا وـهـولـنـدا ، ويـتم نـسـجـه في مـصـانـع تابـعة لـأشـخـاص من أـصـلـ يـهـودـي .

وكانت عادة تزييق القماش - حزئًا على الميت - شائعة بين المتنصرين اليهود ، وبعد دفن الميت كانوا يتناولون بيضًا مسلوقًا جامدًا بلا ملح ، ويرمز إلى دورة الحياة ، أما عدم وجود ملح في الطعام فيرمز إلى التأكيد على مرارة فقدان الميت - وهي من التقاليد اليهودية - كما اعتاد المتنصرون القيام بما يسمى بطقس الـ "شبـعـا" أو الحداد سبعة أيام على روح الميت - وهو أيضًا تقليد يهودي - وطوال تلك الأيام السبعة كانوا يقلبون الصور تجاه الحائط، ويفرغون أوابي المiah لإخراج الأرواح الشريرة، وعلى مدى السبعة أيام يتناولون

(١) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٢) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

"الأقارب والأصدقاء الطعام مع بعضهم البعض، ويتعلون قداس الترحم أو ما يعرف بالـ **הַקְדִּישׁ** ثلاثة مرات في اليوم طوال ۱۱ شهرًا وذلك أثناء صلاة الجمعة"^(۱).

مارسة المارانوس للأعياد اليهودية :

عيد الغفران أو الكببور **יְמֵינָה כְּפֹרָה** :

يوم الغفران أو الكفاره هو العاشر من شهر تشرى (أكتوبر) وهو يوم صيام ليلاً ونهاراً وهو يوم حساب النفس على ما بدر منها من خطايا ويمثل هذا اليوم ذكرى دخول يختنصر أورشليم وتدميرها سنة ۵۸۶ لذا فهو أكبر أيام الحداد عندهم ، وفي هذا اليوم يعلن فيه اليهود نقضهم للعهود والمواثيق التي قطعواها لغير اليهود ، ويجوز فيه أكل الديون التي على اليهودي والرجوع عن كل وعد^(۲).

وكان المنتصرون يصومون في ذلك العيد ، ويسمى عندهم يوم الصوم الكبير ، حيث اعتادوا في ليلته أن يطلبوا الغفران والسامح من أفراد العائلة والأصدقاء اليهود لغفران أي خطيبة حدثت خلال العام ، وكانوا يعدون وجبة الصوم "סעודת מפסקת" وتكون من أسماك وحضروات ، وبعدها يبدأون الصوم أما والدة الأسرة المنتصرة أو الجدة فكانت تقوم بالدعاء لهم ومباركتهم فيتم مباركة الأبناء بأن يكونوا مثل "أفراهام" و"إسحق" و"يعقوب" ، أما الفتيات فتتم مباركتهن بأن يصبحن مثل "سارة" و"رفقة" و"لية" ، وقد اعتاد اليهود المنتصرون إقامة صلاة هذا العيد في المعبد السري ؛ حتى لا يتم الاشتباه فيهم ويقيمون شعائر الصوم والصلوة من أجل الغفران **צואמות ותפלות לבקשות מהילה** . كما اعتادوا أن يبدأوا الصيام في الظهر ، ثم يخرج المصلون للتبره في المدينة^(۳).

(۱) **רבקה שפק** (ד"ר). **לקחים הסתוריים** فيما يختص بعادات وتقاليد اليهودي في مراسم الدفن والحنزات نذكر أنه بعد تشيع الجنائز تقام فرحة للعزاء باسم "شيفع" ومعناها سبعة أيام لاستقبال وفود المعزين ، أما العادات التي يعمسك بها اليهود في أيام الحداد فهي نوع من الخرافة أخذت طريقها للزوال في العهد الحديث.

الشامي : رشاد ، جولة في الدين والتقاليد اليهودية ، مكتبة سعيد رافت ، القاهرة ، ۱۹۷۷ م ، ص ۴۴ ، ۴۵ .

(2) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ۱۶۹ .

(3) **רבקה שפק** (د"ر). **לקחים הסתוריים** عيد الغفران عند اليهود هو أقدس وأهم الأعياد ويأتي في اليوم العاشر من الشهر السابع **Tishri** من القويم اليهودي الذي ينقسم إلى ألف عشر شهرا هي :

عيد الفصح ٥٥٦ :

هو عيد الضحية عندهم حيث يقدم فيه حمل أو شاه أو جدى ويرتبط هذا العيد بعجينة الفطير المفروضة فيه ، وهذا العيد يلتصق بالتهمة التي توجه إلى اليهود والمعروفة بتهمة الدم وخلاصتها أن خبز الفطير المفروض على اليهود تناوله في فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا في عجينة دمًا بشريًّا يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود ، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين . والظاهر أن هذه التهمة التي يوسم بها اليهود بدأت من عهد مبكر في التاريخ ، ويبدو أنها جلبت على أماكن التجمع اليهودي في الشرق والغرب مشاكل كثيرة ، فقد كان الحى الذى يسكنون فيه يهاجم ، ويتنتشر فيه القتل والتسلك بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودي محارف فترة عيد الفصح . وقد جاء في المرسوم البابوى الذى أصدره البابا أنونسانت الرابع من بابا الفاتيكان في الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٢٥٣ والخاص بهذا العيد:

"إننا نحرم أهال اليهود باستعمال الدم البشري في طقوسهم ، لأنهم مأمورون في العهد القديم بـلا ينجسوا أنفسهم بأى دم على وجه العموم ، فضلاً عن الدم البشري" . إلا أن هذه التهمة ظلت لاصقة باليهود .^(١)

وقد اعتاد اليهود المتتصرون في عيد الفصح ، شراء أوان جديدة ، ولم يكن هذا الأمر يثير الشك ؛ وذلك لأن الأواني التي كانوا يستخدمونها كانت من الفخار التي يسهل تحطيمها عند إفصاح أمرهم، وقد اعتادت النساء أن يخزنن الفطائر الفصحية بأنفسهن،

(تשרي "תשדרי" - حشvan "חנוכה" - كيسلو "כיסלו" - طيت "טבת" - شفاط "שבט" أذار "אדר" - نيسان "ניסן" - آيار "אייר" - سيفان "סיוון" - تموز " تمזוּז" - آب "אב" أيارول "אלול")
האינציקלופדייה היהודית (דעת) ערך לוח השנה העברית ٢٥-١-٠٧ وكلمة كبيرة כפורה
من أصل بالي ومعناها "يظهر" ويوم الغفران هو يوم صوم لا يعمل فيه أحد إلا العبادة وهو اليوم الذي يندم فيه اليهودي على الذنوب والخطايا بالكفر عنها بالصوم والصلوة والذبائح والأموال ورد المظالم لأهلها . وبحسب التراث الخالقى ، فإن يوم الغفران هو اليوم الذي نزل فيه موسى من سيناء ، للمرة الثانية ، ومعه لوحات الشرعية حيث أعلن أن الرب غفر لهم خططيتهم في عبادة العجل الذهبي وهو يوم يعلن فيه اليهود نقضهم للعهود التي قطعواها لغير اليهود . (ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩) .

(١) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

ويقرأون الترجمة اللاتينية للعهد القديم ، والخاصة بالجزء المتعلق بخروج بنى إسرائيل من مصر، ويرتدى الشخص الذي يدير الطقس ملابس بيضاء ، ويستمر العيد لمدة من سبعة إلى ثانية أيام^(١) .

غير ان اكتشاف المسيحي لأى مظاهر من مظاهر عيد الفصح يقوم به اليهودي كان يعرضه لعقاب شديد ؛ لذا كان اهتمام اليهودي بأداء هذا الطقس بسرية شديدة وتكتم حق لأقرب الناس إليه .

ومن الحكايات التي تعكس الممارسات السرية للمتنصرين اليهود ووسائلهم في التخفي في احفلتهم بالأعياد اليهودية ، وتوكدها الشهادات التاريخية الخاصة باعترافات محاكم الفتيش المسيحية قصة أسرة يهودية تنصرت ظاهرياً بينما كانت تقيم شعائر اليهودية سراً حيث أرادت هذه الأسرة أداء شعائر عيد الفصح فتحكى القصة :

" ان إحدى عائلات المتنصرين أرادت الاحتفال بشعائر عيد الفصح حيث نزلت إلى مخزن مظلم متفرع من منزلهم لتأدية شعائر هذا العيد في خفية ، بينما كان طفلهم الصغير برقة بعض الخادمات المسيحيات - الذين كانوا لا يعلمون أن والديه من أصل يهودي - وفي المساء بدأ الطفل يبكي بشدة لمرضه ، ولم تستطع الخادمات أن تفعل له شيئاً ؛ فقاموا باستدعاء طبيب ، لكنه لم يستطع مداواة الطفل؛ فانتابت الخادمات حالة من الخوف على الطفل من الموت ، فقاموا باستدعاء الكاهن المسيحي لعلاجه ، وعند وصوله اندھش الكاهن، وتساءل: ترى أين ذهب والدا الطفل؟ فبدأ يدلّف من حجرة لأخرى، وهو يذكر بعض أدعية الصلاة ، وحينما وصل إلى أقصى المنزل ، أثار انتباذه صوت أشعار موسيقية

(١) ربکה שפק (Dr.).لكھیم הסטוריים يقع عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان ، ويستمر سبعة أيام هو عيد الربيع عند اليهود ، ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير ، وتقام الاحفلات طوال الأيام السبعة ، أما الأيام الأربع الوسطى فيلتزم فيها بتناول خبز الفطير دون أن يقعن ذلك بطقوس احتفالية كبيرة ، والعيد في أصوله بعيدة موصول بموسم الربيع باعتباره فترة نشوء وازدهار وحياة جديدة ، ثم صار من بعد يرمز إلى خلاص بنى إسرائيل من العبودية في مصر وخروجهم منها بقيادة موسى ، وهارون وبوشع ، ظاظا ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ، وقد اقرن هذا العيد بتهمة الدم التي توجه لليهود حيث جرت العادة أن يدخلوا في عجينة الفطير دماً بشرياً من أمم أخرى غير اليهود وهي قمة تلاحق اليهود كل وقت ومكان (ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ - ١٨٨) .

هادئة ؛ فأخذ يتحسس الحوائط حتى قادته يده للدخول السري، وحيثما رأى المتصرون الجتمعون الكاهن واقفاً على عتبة الباب السري، انتابهم الذعر خوفاً من العقاب ؛ فقرروا قتله، حينئذ أخذ الكاهن يوجه إليهم بسمة ترحاً حيث أخبرهم أنه مثلهم يهودي متصر، وأن الخادمات أفرعنوه أثناء أدائه شعائر ليلة الفصح .

ويبدو أن هذه القصة هي قصة حسادية ، تتنمي للنوع الأدبي من القصص التي تعتمد على الإثارة ، والتي تنتهي بنهاية سعيدة عندما يتضح أن العدو اللدود ما هو إلا أوفياء . وأهدف منها إيصال رسالة أخلاقية ، باستخدام أحاديث وواقع محاكم التفتيش كخلفية تنسج عليها القصة، والدرس الأخلاقي الذي تهدف إليه القصة هو: " بالرغم من أن اضطهاد قد يرغم اليهودي على ترك عقيدته ظاهرياً ، إلا أن قوة ما داخل اليهودي ، تجعله يحافظ على إيمانه في قلبه " ^(١) .

ويبدو من القصة أيضاً مهارة اليهود في التخفي وكتم الأسرار حتى ان العاملين بالمتزل لم يكونوا يعرفون حقيقتهم اليهودية .

عيد البوريم פורים :

عيد البوريم يسمى عيد الماسخر وفيه يسرفون في شرب الخمر ويلبسون الأقنعة وهو احتفال مناسبة العودة من السبي البابلي في القرن الخامس الميلادي ويرتبط بقصة إستير التي سبق التحدث عنها .

ولم يعتبر المتصرون "عيد البوريم" مناسبة سعيدة في العالم المسيحي الذي عاشوا وسطه ؛ وكما سبق القول فإن المتصرون اليهود كانوا يشعرون بتطابق حالمهم وبين القصة المقارئية المتعلقة بإستير ومردحاي ويهود فارس الذين عانوا من اضطهاد الوزير هامان الفارسي ، فملك فارس لم يكن يعرف أن إستير يهودية ، وقد صامت إستير ثلاثة أيام قبل أن توجه للملك برسالات من أجل إنقاذ اليهود ^(٢) فكان المتصرون يصومون في هذه المناسبة ثلاثة أيام مثل صيام إستير ، ويستخدمون النسخة اللاتينية من سفر إستير لثلاثة في التاسع من

(1) he.wikipedia.org/wiki/. אֲגֹסִים

(2) ל'יסק. רבכה שפק (ד"ר). ל'ק'חים הסתוריים

آب (أغسطس) "תשעָה בָּאָב"^(١) كما اعتاد المتصرون صيام ذكرى خراب الهيكل الأول والثاني ، ويستعنون عن تناول اللحم والطيور طوال ثلاثة أسابيع قبل الصوم^(٢) .

عيد المظال ٥١٥٣هـ :

عيد المظال أو الظلل ، عيد زراعي يحتفل فيه اليهود ب تخزين المخضولات الزراعية الغذائية للسنة كلها ، و مدته تسعة أيام ، والتقليد في هذا العيد ألم يقيمون في أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر ، وفي اليوم السابع فيه يصلون صلاة استسقاء عند ساحر المطر؛ حيث يدخلون المعبد وفي يد كل واحد منهم غصن يضربون به على الكراسي؛ فتساقط أوراقه ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التي ارتكبوها في العام كله .

واليهود المقيمين في أوروبا وأمريكا يكتفون بعمل مظلة من السعف تنصب في إحدى الشرفات بالمسكن يتناولون فيه وجبات الطعام فقط ولا يقيمونها في الهواء الطلق نظراً لشدة البرودة في هذه الأماكن . وبالنسبة للممارanos فقد توافقوا عن الاحتفال بهذا العيد خوفاً من أن يكشف المسيحيون هويتهم الحقيقية كيهود إذا ما أقاموا في أكواخ واستخدموا السعف فيها حسب التقليد اليهودي^(٣) .

(١) صيام الناسع من آب هو ذكرى سقوط أورشليم في يد تيروس القائد الروماني وتخرّب الهيكل الثاني الذي كان قد أقيم بعد العودة من السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد على يد نحتما وعزرا وزروبايل . (ظاظا ، حسن : مرجع سابق ، ص ١٩٠) .

(٢) לִיסְק. רַבְקָה שַׁפְק (ד"ר). לְקַחִים הַסְּטוּרִים "בורם" פּוֹרִים .

(٣) לִיסְק. רַבְקָה שַׁפְק (ד"ר). לְקַחִים הַסְּטוּרִים عيد زراعي يحتفل فيه ب تخزين المخضولات الزراعية ، يبدأ هذا العيد في الخامس عشر من الشهر السابع Tishri ، بعد عيد الفحران بخمسة أيام ، و يستمر تسعة أيام . وعيد المظال ترجمة لكلمة "سوكتوت" العربية و تعني المظال ، وقد سمى هذا العيد على مدى التاريخ بعدة أسماء من بينها "عيد السلام" و "عيد المهرجة" ، ومدته سبعة أيام ، و المناسبة التاريخية لهذا العيد هي إحياء ذكرى خيمة السعف التي آوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر ، وكان هذا العيد في الأصل عيداً زراعياً للحصاد ، وكان يحتفل فيه ب تخزين المخضولات الزراعية الغذائية للسنة كلها ؛ ولذا فإنه يسمى بالعبرية "حج ه آسيف" أي "عيد الحصاد". موسوعة ويكيبيديا، وظاظا ، مرجع سابق، ص ١٧٠ .

عيد رأس السنة לְאַשׁ הַשְׁבָּה :

عيد رأس السنة العبرية يسمى "روش هشانا" ويمتد ثلاثة أيام واليوم الرابع يوم صيام^(١). ولم يحرص اليهود المتنصرون على الاحتفال بهذا العيد خوفاً من افتضاح أمرهم^(٢).

الحانوكاه חנוכה :

مارس اليهود المتنصرون الاحتفال بعيد الحانوكاه بإشعال الشموع طيلة ثانية أيام طبقاً للتقليد اليهودي فيه ، ويحتفل اليهود بهذا العيد تخليداً لذكرى انتصار المكابيين ، وتطهير الهيكل من رموز الديانات الأخرى غير اليهودية^(٣).

هذا وقد ظل المارانوس اليهود يتبعون دينهم الموسوي سرّاً ويعارسون شعائرهم اليهودية في الخفاء وفي الوقت نفسه يظهرون الإخلاص للمسيحية ويؤدون الشعائر المسيحية .

وعلى الرغم من محاولات بعض المتنصرين الحافظة على أداء الشعائر اليهودية بأساليب ووسائل خفية إلا أنه مع طول مدة تخفيهم وسط مجتمع خارج عن دينهم تماماً ، بل معادياً له فقد كان لهذا الأمر أثره العميق على عقידتهم نفسها، حيث اختفت شعائر يهودية مهمة، مثل : الختان ، والذبح الشرعي ، واستخدام شال الصلاة "الطاليت" "תְּלִינֶה" ، وكذلك اختفت كثير من الأعياد واكتسبت الشعائر ملامح جديدة ابتعدت بهم تماماً عن دينهم الأصلي إلا من بعض المتنصرين كبار السن كانوا يحافظون على أداء الشعائر .

وقد كان هناك عنصران رئيسيان أديا إلى تدهور أحوال الطائفة السرية المارانوسية وأخلاقها في النهاية :

(١) ظاظاً ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ .

(٢) לְרֵקָה שְׁפָק (ד"ר). לְקֹהִים הַסְּטוּרִים وهو اليوم الأول والثانى من الشهر السابع (أكتوبر Tishri) من التقويم اليهودي، وهو يوم صيام وحزن وحداد على الأسر اليابلى ، (ظاظاً ، مرجع سابق ، ص ١٦٨) .

(٣) לְרֵקָה שְׁפָק (ד"ר). לְקֹהִים הַסְּטוּרִים והאנוכאה هو عيد التدشين: (Hanukkah Chanukkah) والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي دخول يهودا الحشموني (أو المكابي) القدس وإعادته للشعائر اليهودية في الهيكل ، من هنا كانت تسميته عيد التدشين. ويبدأ في اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع Kislev ويستمر ثمان أيام ولهم ، والطابع المميز للاحتفال بهذا العيد هو إشعال الشموع لمدة أسبوع كامل ، وفي هذا العيد كثير من اليهود يكتبون أشعاراً للتعبير عن الجهاد والشجاعة ، ظاظاً ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

العنصر الأول : هو نقص الربانين وعارفي الشريعة والعقيدة والمعلمين اليهود حيث نج عن هذا قطع الصلات الدينية بين المتصرين واليهود .

أما العنصر الثاني : فكان ازدياد نسبة الزواج المختلط بين اليهود المتصرين والمسحيين، الأمر الذي أدى إلى ضعف الصلة باليهودية نفسها (١)

وأجل كشف محاكم التفتيش لوسائل تحفي المارانوس اليهود كانت تطالب الذين عادوا ليهوديتهم أن يقدموا اعترافاً كي ينقذوا أنفسهم وثرواتهم ، وعندما يعترفون ، كانوا يجبرونهم على إظهار أسماء إخواهم المتصرين، وتقديم دليل على أنهم ما زالوا يهوداً ، وكانت تلك الاعترافات تتم داخل غرف التعذيب التابعة لمحاكم التفتيش في القرون الوسطى (٢) .

وسائل محاكم التفتيش في كشف تحفي المتصرين :

استطاعت الكنيسة طبقاً لشهادات المعترفين ياخواهم المتهودين أن تنشر ٣٢ بنداً يمكن من خلاله التعرف على المتصرين الذي عادوا ليهوديتهم وكانت كالتالي:

- ١- إذا قام بتقديس يوم السبت .
- ٢- إذا غير ثيابه يوم السبت بشباب جديدة وقمصان نظيفة .
- ٣- إذا قام بتغطية المائدة بغطاء يوم السبت .
- ٤- إذا لم يشعلي نيراناً يوم السبت .
- ٥- إذا تناول وجبة السبت و المسماة " الدفينة " أو " السخينة " חמץן .
- ٦- إذا توقف عن ممارسة عمله يوم السبت .
- ٧- إذا تناول لحماً أيام الصيام المسيحي .
- ٨- إذا صام في عيد الغفران .
- ٩- إذا خرج في يوم الغفران بصندل أو جورب أو حق حافياً .
- ١٠- إذا طلب يوم السبت من أخيه الصفح والمغفرة .
- ١١- إذا احتفل بعيد الفصح متناولاً القبول والقطير .

(١) כהנוב עזר (ד"ר) המכלה האקדמית אהבה. מעוף ומיועה. חוברת ٥, ١٩٩٦.

אנטום ושבתאים האופציה שך דתוות כריזומית. ٣٠-٣-٢٠ web.macam.ac.il .

(٢) האינציקלופדיה היהודית " דעת ".

- ١٢ - إذا أقام في مظال في عيد المظال.
- ١٣ - إذا وجد معه في عيد المظال أتروجه "אַתְּ רִיגָּג" أو شعا نين "לֹלֶב"^(١).
- ١٤ - إذا تزوج عدة نساء كحال شريعة موسى .
- ١٥ - إذا دعا نفسه باسم إسرائيلي .
- ١٦ - إذا قام بختان أبنائه .
- ١٧ - إذا اغتسل في اليوم السابع من مولده ، وهذا ما يفعله اليهود في ذلك اليوم ففي الليلة السابعة بعد الولادة كانوا يملأون الأواني بالماء ، ويلقون فيها قطعا ذهبية وفضية ولولنوا وأحجاراً كريمة، يغسلون به الوليد .
- ١٨ - إذا فرش رغيف الخبز العجين قبل خبزه .
- ١٩ - إذا بارك الكأس في وجهه ومرره على كل الموجودين .
- ٢٠ - إذا غسل يديه قبل الصلاة .
- ٢١ - إذا بارك قبل ذبح حيوان أو طير.
- ٢٢ - إذا غطى دم الذبيحة من الحيوان أو الطير بالتراب .
- ٢٣ - إذا أزال العروق من لحم الجديان .
- ٢٤ - إذا قام بتمليح اللحم لإخراج الدم منه .
- ٢٥ - إذا لم يأكل الخنزير أو الأرنبة .
- ٢٦ - إذا غسل الوليد بالماء بعد دخوله في العهد المسيحي .
- ٢٧ - إذا سمى أبناءه بأسماء العهد القديم .
- ٢٨ - إذا بارك أبناءه بوضع اليد عليهم .
- ٢٩ - إذا لم تزر النساء اللاتي ولدن المعابد إلا بعد أربعين يوماً من طهارتهم .
- ٣٠ - إذا قام بيارحة المحضر تجاه الحائط .
- ٣١ - إذا قام بغسل جسمه بالمياه الدافئة .

(١) الشعانيين بالعبرية **לוֹלֶב** سُف النخيل نوع من الأنواع الأربع من النباتات التي يجب أن تكون مع اليهودي في عيد المظال، والاتروج ، وهو نوع من الليمون ، وكذلك الريحان **הַדָּס** والصفصاف **לַרְבָּה** .
www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp (موسوعة دعت اليهودية).

٣٢ - إذا لم يضف بعد قراءة ترايل الصلاة عبارة "باسم الآب والابن والروح القدس" - كما بالمسيحية - وعبر الوقت أضيف على تلك القواعد فقرات إضافية^(١) . وكان من حق المتهم أن يتوب ويعرف بدخوله المسيحية في مدة لا تتجاوز الأربعين يوماً وهذا الاعتراف لابد وأن يكون مكتوباً ، ويشهد عليه شهود "لاذيم" ، وعلى المعترف أن يرد على أسئلة تتعلق بمكان وزمن هوده ، وكم من الوقت ظل على يهوبيته . أما هؤلاء الذين يعترفون بعد مضي أربعين يوماً ؛ فكان يتم مصادرة ممتلكاتهم أو يتم سجفهم كل حسب درجة ومقدار جرمهم .

وبالنسبة للشباب الذين تقل أعمارهم عن سن العشرين ، والذين أخبروا أن آباءهم هم الذين فرضوا عليهم الديانة اليهودية ، فكان لا يتم مصادرة ممتلكاتهم ، أما الذين يعترفون بعد صدور الحكم ضدهم ، فيتم قبولهم في الكنيسة المسيحية لكن يحكم عليهم بالسجن للأبد ، أما الذين اعترفوا بكلمات قليلة ، فيتم حرقهم على الموقد . وإذا كان من الصعب إثبات خطيئة أحد المتهمين كانوا يقومون بتعذيبه ، وإذا اعترف عن طريق التعذيب ؛ فإنه يحكم عليه بالموت^(٢) .

ومن خلال اعترافات بعض المتنصرين ، اتضح أنه كان هناك داخل هذه الطوائف ربانيون خبراء بشرعية موسى ، يجتمعون كل يوم بعد الظهر لأداء الصلاة ، وجزء من هؤلاء اليهود المتنصرين كانوا مختونين ، وقد تم التعرف عليهم من جانب محكم التفتیش في مكسيكو سيتي حيث تم إصعادهم على الموقد لإحراقهم في أحد طقوس محكم الإيمان أو الـ "איטו דה פה" واتضح أنه كان من بينهم ٥٧ مختوناً^(٣) .

ولم يكن يذهب من المارانوس للاعتراف إلا قليل ، وكانت إذا ذهبوا إلى الاعتراف لا يعترفون بيهودهم الباطني . وأثناء زيارتهم للكنيسة ينتبهون عن مشاهدة الخبز المقدس حين يتلقونه ، ويسرعون ببصقه فور خروجهم منها.

(1) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך איבקויזיציה

(2) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך איבקויזיציה.

(3) ליסק. רבכה שפק (Dir). ללחמים הטעוראים.

ولأجل الخلاص من التعقب المسيحي كان المتصررون يهربون عن طريق السفن إلى العالم الجديد "الأمريكتين" أو إلى أوروبا إلا أن المحاكم ورجال التفتيش كانوا يتبعقوهم ويكتشفون أمرهم^(١).

(١) לישק. רבקה שפק (ד"ר). ל��חים הפטורדים.

المبحث الثالث

النخب اليهودية بين المعارضة والتأييد

من الأمور المدهشة التي قام بها المتصرون - حرصاً على ممتلكاتهم ، وحافظاً على مناصبهم ومكانتهم الاجتماعية في الدولة ، واستمراً لمراءاتهم للملوك والنبلاء ورجال البلاط المسيحي ، أفهم قاموا بخيانة ذويهم من أبناء ملتهم تقرباً للملوك ، حيث قاموا بتشجيع المذايحة التي وقعت عام ١٣٩١ ضد اليهود ، ورأوا في هذه المذايحة ، الانقام الإلهي من اليهود الذين أهدرروا دم المسيح ، وكان على رأس هؤلاء الحاخام اليهودي "سليمان آل ليفي" الذي حول اسمه إلى "باول دى سانتا ماريا" ثم تحول إلى أسقف في المسيحية ، حيث طارد إخوانه في الدين دون هوادة^(١) .

كما نجح عدد من المتصرين اليهود في إقامة علاقاتوثيقة مع "المسيحيين الجدد" في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وبليجيكا ، وأيضاً مع "اليهود الجدد" أي الأشخاص الذين عادوا إلى عقiliتهم اليهودية في الشمال الغربي لأوروبا ، والإمبراطورية العثمانية ، ونتجت عن هذه العلاقات صلات تجارية ربطت بين كل هذه الأطراف ، كما ثبت بينهم علاقات أسرية ، وعن طريق تلك العلاقات تم تجميع أموال لأغراض مختلفة كفدية للأسرى الذين يتبعون "للعرق" اليهودي ، والذين تم توقيفهم من قبل قطاع الطرق البرابرة ، وكذلك لتمرير أموال إلى هولندا لمساعدتها في حربها في إسبانيا ، بالإضافة لمساعدةهم لليهود في أرض فلسطين ، وأيضاً لأجل رشوة رجال السلطة المسيحية ومحاكم التفتيش ، وغيرها^(٢) .

وكان ينتمي للمارانوس عدد من الشخصيات اليهودية البارزة وبعض الحاخامات اليهود ، منهم من صار عدواً لأهل دينه وأصوله حفاظاً على ممتلكاته ومصالحه ومنصبه في البلاد . ومنهم من كان مؤيداً لليهودية ومدافعاً عن حقوقهم في أداء شعائرهم.

وظهر تلك الشخصيات مدى تذبذب شخصية هؤلاء المتصرين بين المسيحية واليهودية، فمنهم من فقد هويته تماماً تقرباً للمسيحية ، ومنهم المدافع عن دينه وعن اليهود ضد التنصير القسري .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

(٢) ליבק. רבקה שפק (ד"ד). לכהנים הטעודרים

أولاً : المتصررون المناهضون "מורמרيم" لليهود في إسبانيا والبرتغال :

١. موشى السفاردي "משה ספרדי" : عُرف باسم "بيتروس ألفونسو" "פיטרוס אלפונסו" وهو أول من قام بتأليف كتاب معادية لليهود والمسلمين ، وكان طبيعياً وتحول عن عقيدته اليهودية في عام ١١٠٦^(١).

٢. دونين الروشويلي الفرنسي "דונין מז רושיל בצרפת" : عُرف بعد تصره باسم "نيولاس" "ניולאָס" وهو الذي أخبر البابا غريغوري التاسع "גריגורי התשיעי" أن التلمود مليء بفقرات هاجم المسيح والمسيحية وتسبح دماءهم - وعلى إثر هذا تم ملاحقة الربانيين ، والدخول في مناظرات معهم وإحرار كتب التلمود^(٢).

٣. بابلو كريستياني المونتفيليري "פאבלו כריסטיאני מז מונטפליר" : اشتهر بمناظرته المعروفة مع موسى بن نحمان المعروف بـ رامبان "הרמב"ן" والتي أجريت عام ١٢٦٣ ، وكانت مهمة هذا المتصر اليهودي المراقبة والإشراف على كتابات الربانيين، وهو أي حرف يتعلق بمحاجة المسيحيين ، كما اشتهر بعلاقته الوطيدة مع البابا "كليمنس الرابع" والتي كان ينقل فيها وشایات عن اليهود وتلمودهم^(٣).

٤. أفيير البورجوسي "אברהם בורגוז" وهو الذي أخير الملك ألفونسو الحادي عشر "אלפונסו ה'י"א" بأن صلاة العميada اليهودية تحتوي على دعاء يسمى البنيم "ברכת המינימ" ^(٤) وهو دعاء اللعنات على الملحدين أو الكفار يتلوها اليهودي كل يوم وقد قام أفيير بمناظرة أجراها مع الربانيين المبعوثين من كل الطوائف اليهودية لأجل حذف ذلك الدعاء من صلاة العميada . وقد اشتهر القديس أوغسطين بإقامة صلاة لأجل اليهود نصها : "أيها رب العزيز القدير الحالد الذي وسعت رحمته حتى الكفرة والملحدين من اليهود ، اسمع صلواتنا لصالح ذلك الشعب الأعمى ، واجعلهم يهتدون إلى نور الحق الذي

(١) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך "מורמר בתולדות ישראל"

(٢) المرجع نفسه .

(٣) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך "מורמר בתולדות ישראל"

(٤) هو الدعاء الثاني عشر في صلاة الشهافي عشر ، وهي واحدة من ثلاثة عشر دعاء لصلاة الشهافي عشر ، وهي دعوة بالقضاء على أعداء إسرائيل والملحدين. המלון החדש הוצאת קריית ספר ירושלים ١٩٨١ ،

מן .

هو المسيح ، دعونا نصلى لصلحة أولئك الناس من غير المؤمنين (من الغادرين الخونة) اليهود ، وندعو لسيدنا ومخلصنا يسوع أن يرفع الحجاب عن قلوبهم ، حتى يعترفوا بربنا ومخلصنا يسوع المسيح " . وقد أمر البابا يوحنا الثالث والعشرون بحذف كلمة (الغادرين الخونة) من تلك الصلاة .^(١)

٥. يوهان الولدوليدي " יוהן מון ואלאדולידי " : كان مسؤولاً عن إجبار كثير من اليهود على دخول المسيحية ، كما قام بتأليف كتب هاجم اليهود.

٦. شلومو ليفي البورجوسي " שלמה לוי מבורגוטש " : ويطلق عليه في مصادر أخرى " سليمان آل ليفي " من أشهر النماذج المعادية لليهود أبناء دينه من أجل الوصول لأعلى المناصب ، وكان حاخاماً يهودياً ثم أصبح أسقفاً مسيحياً ولد في برغش عام ١٣٩٥م ، وعمل أستاذًا في اللاهوت في باريس عام ١٣٩٦ ، وكان كاهناً قانونياً في برغش ، وقسّاً خصوصياً لأنطريكي الثالث ، وصديقاً مقرباً للبابا بندكتو الثالث عشر ، وحظى بمكانة رفيعة عند الملك أنطريكي الثالث ، وأجل الحفاظ على ممتلكاته وصلاته بالملوك ورجال الدولة ، أعلن تنصله من اليهودية علناً وهاجم اليهود في كل مكان.. وتلك قدرة قلماً توفر في غير اليهودي^(٢). عرف بعد تنصره باسم " باول دي سانتا ماريا " פאול די סאנטָא מְלִיכָה " و كان صليباً في التلمود ، ووصل لرتبة كبير أساقفة قرطاجنة ، ومستشار في بلاط الملك هنري الثالث " הַנְּרִיאֵן הַצְּלִינִיךְיִי " في قشتالة بعد أن كان حاخاماً يهودياً واشتهر بمعاهجهة للتلمود ، وتأليفه حكايات مليئة بالسخرية عن رباني إسبانيا^(٣).

وبالرغم من أن سانتا ماريا من أبرز الشخصيات التي مثلت تناقضًا واضحًا وازدواجاً بينها في طبيعة الشخصية اليهودية والقدرة الفائقة على التلون ، فهو الحاخام اليهودي ، والكاهن المسيحي في نفس الوقت ، واليهودي المطارد لشعبه ، والمسيحي الموالي للكنيسة ، حيث تحول إلى المسيحية هو وأفراد عائلته - أبناءه الأربع وابنته وإخواته الثلاثة وزوجته - في عام ١٣٩٠ فأصبح كاهناً مسيحياً وأسقفاً .

(١) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(٢) كاسترو : مرجع سابق ، ص ٦٠٦ .

(٣) האינציקלופדייה היהודית " דעת " ערך " מומר בחולצות ישראל "

وقد كتب "باول" خطاباً يشرح فيه الأسباب التي أدت إلى تنصره، بين فيه أنه حينما يتعمق الإنسان في الشريعة الشفوية والعهد القديم سيجد علامات تدل أن عيسى هو المسيح، بينما كان السبب الحقيقي في تصره هو الوصول إلى الدرجات الرفيعة في القصر الملكي ، والتحكم في مملكة قشتالة . ويدركه المؤرخ كاسترو إزاء وصفه لهذه الشخصية " أنه الشخصية الكارثة التي قتل عضو محكمة التفتيش الذي يطارد شعبه " ^(١) .

ويصف كاسترو موقف باول دى سانتا ماريا الذى اتخذه إزاء يهود إسبانيا بأنه يتسم بالحسنة الكاملة مهما كانت العبريات ^(٢) . حيث قيل أن ما قام به من أفعال ضد اليهود كانت من أجل الحفاظ على حياته .

وقد سافر باول إلى باريس عام ١٣٩٤ ، حيث أصبح قسيساً ، ونال حظرة لدى البابا بنديكت الثامن. ثم بدأ حملته ضد اليهود محاولاً إقناع ملك أرagon بأن يصدر قوانين معادية لليهود ^(٣) . ومن جانب آخر فقد تبوأ مكانة مميزة في التعميد المسيحي فكان الأب الأسقفي في التعميد المسيحي . ومن الغريب أن باول كان يردد دائمًا أن كافة المسيحيين الجدد أولى المتنصرين هم " أهل شر " . ويشير إليهم بأنهم أعداء سيطر عليهم الشيطان !!

ويلاحظ أن معظم القوانين الصادرة ضد اليهود عام ١٤١٢ قد استلهمت وكتبت على يديه أثناء حكمه على قشتالة ، حيث هاجم رجال الدين اليهود ووصفهم بالجهل ^(٤) .

وكان اعتناق باول سانتا ماريا للمسيحية الطريق الوحيد لوصوله إلى درجة رفيعة في القصر الملكي ، حتى إنه أصبح عضواً بمحكمة التفتيش ، وطارد إخوانه في الدين في كل مكان، واستطاع باول سانتا ماريا أن يحيط تصره بسياق من التأكيد على إخلاصه للمسيحيين ، حيث أثني على المذابح التي جرت لليهود عام ١٣٩١ م ، وقال بأن الله هو الذي أثار الشعب ضدهم للانتقام لدم المسيح ^(٥) .

(١) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٠٦ .

(2) Pablo de Santa Maria، The Purim Letter and Siete edades del mundo By Judith Gale Kreiger Originally printed in the Fall issue of HaLapid ١٩٩٨

(4) كاسترو : مرجع سابق ، ص ٦٠٦

(5) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٦ - ٦٠٨

وتحمل أبناؤه وأحفاده لقب " سانتا ماريا " حيث قنعوا بمكانة متميزة في القرن الخامس عشر في المجتمع المسيحي ؛ وظهر منهم قسيسون وأوصياء وأساقفة، وكان السبب الرئيسي في اعتناق أسرة باول للمسيحية ، هو رغبتهم في استمرار مصالحهم لدى البلاط والكنيسة^(١) .

٧ - يوسف اللورقي " יוסף אללורקי " : عرف باسم الراهب " جرونيمو دي فانتا ي " גראוניימו די פאנטיא פי" وكان يعمل طبيباً ومستشاراً في بلاط الملك بنديكت الثالث عشر " בנדייקט ה'ג " وقد عرف بمناظراته الشهيرة مع الربانيين اليهود حول حقيقة يسوع المسيح والكتب المقدسة كالعهد الجديد ، وقد استمرت هذه المناظرات على مدى ٢٤ شهراً ، وتحديداً منذ فبراير ١٤١٣ م حتى شهر نوفمبر ١٤١٤ م كما قام بتأليف كتب تعج باهتمام اليهود وكشف تخلיהם عن وعودهم عن طريق صلاة يهودية يؤذونها تسمى صلاة كل نذوري " כל נדרי " وهذه الصلاة عبارة عن إعلان من الشخص اليهودي عن إلغاء كل الأقسام والوعود والتزور التي قاها قبل صلاة مساء يوم الكيور^(٢) .

٨ - ليفي بن شيم طوف " לוי בן שם טוב " : عُرف بعد تحوله للمسيحية بـ " بيدرو دي لا كابلا ريا " פידרו די לא קאבלרייה " وقد عمل مستشاراً في بلاط مانويل " מנואל " ملك البرتغال في عام ١٤٩٧ م ، وكان من ضمن أعماله البحث عن أطفال اليهود ، والقيام بعمدتهم رغمًا عن عائلاتهم^(٣) .

٩ - هنريك نونيis " הנריק בוניס " : عرف بعد تنصره باسم " دي بيرما بي " " די פירמא פי " وكان معروفاً بأقواله التي هاجم فيها الأنوسيم أو المتصرفين علينا، بالإضافة إلى أنه كان أحد مشجعي الملك كارل الخامس " קרל החמישי " بإنشاء محاكم التفتيش البرتغالية وكان معروفاً باسم المقدس " קדוש " عند المسيحيين (Martyr)^(٤) .

(١) نفسه ، ص ٦٥٨ .

(٢) يرجع زمان تأليف تلك الصلاة ، إلى فترة الجاءونيم ، وأنما كان يتم قولها باللغة الآرامية لغة الحديث عند كثريين من اليهود في تلك الفترة ، وقد تم ذكر التوراة في التلمود . (he.wikipedia.org كل נדרי)

(٣) האינציקלופדיה היהודית " דעת " ערך " מומר בתולדות ישראל "

(٤) האינציקלופדיה היהودית " דעת " ערך " מומר בתולדות ישראל "

١٠ - سیکستوس منسینای "סיקסטוס מנ סינא" وفيليب مورو" אפייליפ מورو" وما اللدان قاما تحت رعاية البابا باول الرابع "פָאֹל הַרְבִּיעִי" بتشجيع اليهود على التحول إلى المسيحية، فكان "سیکستوس" ، يبحث اليهود على إحراف كتب التلمود على الموقف الذي صنعه بنفسه ، أما "فيليب" ، فقد اقتحم أحد المعابد اليهودية ذات يوم ووضع بداخلها قنالاً لأحد القديسين المسيحيين أثناء يوم الكيور معلنًا تخدية لقداسة هذا العيد عند اليهود ^(١) .

١١ - المنتصر ألكسندر "אלכסנדר" : اشتهر بأقواله المعادية لليهود ، والتي كان يقوها في حضور البابا بيوس الخامس פָרוֹס הַחֲמִינִית" وكان من ضمن مؤيدي الحكم بطرد اليهود من البرتغال عام ١٥٩٨ م ^(٢) .

١٢ - فرای ألونسو دي إسپينا : من الشخصيات اليهودية التي كان لها دورها في مجريات الأحداث الدامية والوشائية ضد اليهود هناك ، وكان يشغل رئاسة جامعة سلمونقة ، حيث هاجم اليهود في كتاباته وكان أحد الأعضاء البارزين في المجلس الأعلى خاصم التفتيش ، وهو الذي أبلغ الملك أنريكي الرابع أن في مملكته هرطقة كبيرة أطلقها المتهودون الذين لا يزالون على الطقوس اليهودية ، وأفهم يحملون أسماء مسيحية وفي الوقت نفسه يقومون بختان أولادهم ، وقدم ألونسو طلباً بمعاقبة هؤلاء المتهمين وجاء في أحد كتاباته : "إذا تم في عصتنا هذا عقد محاكم تفتيش فسوف يكون عدد الدين يتم حرقهم كثير من المتهودين" ^(٣) .

ويوضح مما سبق مدى الكراهة التي تخليج صدور رجال الدين اليهودي تجاه إخواهم وأبناء دينهم في سبيل إعلاء مصالحهم .

وكل هؤلاء اتخذوا من الوشاية ضد إخواهم اليهود طريقاً للتقارب إلى الحكام المسيحيين وهو الدور الذي كانوا يمارسونه من قبل في حارات اليهود ^(٤) .

ثانياً : غاذج الشخصيات المنتصرة التي دافعت عن اليهود ولم تتضح هويتها الدينية :

١ - منسي بن إسرائيل "מנשא בן ישראַל" (١٦٥٧ - ١٦٠٤) :

(١) المرجع نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٨ .

(٤) كاسترو ، مرجع سابق ، ص ٦٠٨ .

من يهود المارنوس ، كان حاخاماً وكاتباً له عدة مؤلفات ، اشتهر بالشخصية المركبة والمزدوجة بين الغرب المسيحي والتقاليد الدينية اليهودية . كان يؤمن بالفلك القبالي والعقيدة المسيحانية ^(١) ، ويعتقد أن جميء المسيح لن يتحقق إلا إذا تشتت اليهود في كل مكان في العالم ، وكان على اتصال بيهود المارنوس في إنجلترا ، حيث دعا لتوطين اليهود في إنجلترا ، وقد أبدى " كرومويل " تسامحاً معه ، هدف استثمار اليهود في أمور التجارة والتجسس والاتصالات الدولية . وقد ظهرت عقيدته في مؤلفه " الدفاع عن اليهود " حيث بين فيه أن الدين لا بد وأن يكون مسألة اختيارية ، ولا ينبغي للسلطات الدينية إجبار أحد على اتباع دين معين ^(٢) .

٢ - إسبينيوزا " ברוך שפינוזה " (١٦٣٢ - ١٦٧٧) :

من يهود المارنوس ومن أبرز الشخصيات اليهودية التي افتقدت هويتها الدينية وكانت لها مكانة مرموقة في الفلسفة اللاهوتية ، وهو من لم يكن لهم انتماء إلى المسيحية ولا اليهودية حاملاً لواء الإلحاد . ويؤمن إسبينيوزا بالظاهر والباطن ، ويعتقد أن اليهودية دين الظاهر والمسيحية هي دين الباطن ، وكان من المؤمنين بالطبيعة ^(٣) . ويعتقد إسبينيوزا أن المسيح يتصل اتصالاً مباشراً بالرب ، في حين أن موسى النبي كان اتصاله بالإله من خلال واسطة ، مما دعا البعض بالقول أن إسبينيوزا كان مناصراً للمسيحية على حساب اليهودية . ويرى إسبينيوزا فيما يتعلق بيهود المارنوس " أنهم اختلطوا بالأسبان إلى حد لم يق منهم معه بعد وقت قصير شئ حتى الذكرى " ، ويقول : أما الذين عاشوا منهم في البرتغال وأجبروا على تغيير دينهم فقد عاشوا منعزلين بعد استبعادهم من جميع المناصب ^(٤) .

ونجد أن إسبينيوزا لا يرى في هؤلاء المنصررين انتماء لليهودية نتيجة اختلاطهم بالأسبان المسيحيين وانزعاهم إلى جانب عدم اكتراثهم بأمور الخيان المفروضة شرعاً عليهم .

(١) الفكر القبالي مأخوذ من عقيدة القبالة التي تعرف بالتصوف اليهودي وهي التي ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي وتعتمد على كشف أسرار العلاقة بين الخالق والملحوظات والوحيد بين الخالق والفرد اليهودي . وتدعى هذه العقيدة إلى إعلاء الإنسان اليهودي على كافة البشر وتدعو أيضاً إلى إسقاط كافة الشرائع .

(2) wikipedia.org .**ברוך שפינוזה** בָּרוּךְ שְׁפִינּוֹזָה

(3) wikipedia.org .**ברוך שפינוזה** בָּרוּךְ שְׁפִינּוֹזָה

(4) إسبينيوزا ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

الفصل الثالث

معضلات الدمج والنبذ بين المارانوس ونظرائهم

أسهمت المطاراتات العنيفة لليهود المتنصرين من قبل المسيحيين إلى بروز نُعْطِي جديداً في أوضاع هؤلاء اليهود حيث بدأوا في تكوين تنظيمات جديدة ضد الأحكام الصارمة التي طبقتها محاكم التفتيش ضدهم بعد فشلهم في الاندماج في المجتمع المسيحي الكاثوليكي ، الأمر الذي أدى بهم إلى الاندماج في جماعات مسيحية في القرن السادس عشر - وذلك بعد مرحلة القرون الوسطى وبدايات العصر الحديث - وكانت هذه الجماعات معارضة للمجتمع المسيحي الكاثوليكي مثل حركة الإصلاح البروتستانتي وحركة المؤمن "המזראים" "Alumbrados" أو المترورين^(١) .

وتكشف وثائق محاكم التفتيش أفكاراً لوثرية تحريرية^(٢) ، وتأثيرات تویرية لجماعة المؤمنين التي دخلت وسط المتنصرين الجدد ، كنتيجة للتعنت الكاثوليكي ، حيث انضموا إلى جماعات وفرق مسيحية أخرى مناهضة للمذهب الكاثوليكي السائد في المجتمع مثل المذهب البروتستانتي المعادي للكاثوليكية^(٣) .

(1) כהנוב עוזר (ד"ר) המכלה האקדמית אהבה . حركة المترورين حركة إصلاحية صوفية مسيحية ظهرت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر نتيجة لسياسة التي اتبعتها الكنيسة الكاثوليكية . wikipedia.org

(2) هي الأفكار التي نادى بها مارتن لوثر وكان كاثوليكيًا وقف موقفاً معارضًا لبعض الملاوك صكوك الغفران . wikipedia.org . ولد مارتن لوثر عام ١٤٨٣٦ في ألمانيا ، تخصص في الدراسات اللاهوتية كان قيساً مخلصاً للكنيسة ، حتى أنه ذهب إلى روما للتبرك ورؤيا القديسين والرهاد ، فهاله ما رأى من دعاوى عفران الذنوب وامتلاك سر التوبة وحق منح صكوك الغفران ، فوقف معارضًا ومستنكراً لظاهر الانحلال والفساد الخلقي في الطبقات العليا من الكنيسة ، وكتب وثيقة الكنيسة ودعا إلى إشراف الحكومة على الكهانس وانتشرت مبادئه انتشاراً كبيراً ، إلا أنه لاقى صعوبة في تحقيق دعوة الإصلاح الكسبي ، توفي عام ١٥٤٦ مخلفاً مجموعة من الكتب والمؤلفات التي حللت دعوته . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، ص ٦١٥-٦١٦ .

(3) כהנוב עוזר (ד"ר) המכלה האקדמית אהבה . والبروتستان فرقاً من النصرانية عارضت الكنيسة الغربية ، وعارضت كل من يخالف الانجيل ؛ إذ يسمون الانجيل دون سواه ويعتقدون أن الكل متساون أمامه ، بدأت في القرن السادس عشر مثيرة بدعوات الإصلاح السابقة لها، ثم تحولت إلى حركة إصلاحية داخل

وكان المتصرون الجدد يفضلون الإقامة بالأديرة الرهبانية المسيحية ، باعتبارها ستاراً يخفون من ورائه ممارستهم لشعائرهم اليهودية .

وكانت الطريقة الرهبانية الجرونيمية "גְּרֹנִים" (١) هي المفضلة لدى المتصرين اليهود حيث تتسم هذه الطريقة بممارسة الراهب رهنته فيها بشكل منفرد ، دون الدخول في جماعات من الرهبان الآخرين ؛ لذلك فضل المارانوس اتباع هذه الطريقة في أدانها عبادتها (٢) .

وقد انتشر المارانوس اليهود بعد خروجهم من إسبانيا - سواء طرداً أو فراراً - في جميع أنحاء العالم حيث ذهبوا بأعداد كبيرة إلى سالونيك في تركيا ، حيث القوة اليهودية التي كانت موجودة في هذا المكان في ذلك الوقت - والتي تعرف بيهود الدولة أو الشتائين ، حيث شكلوا نخبة قوية بانضمامهم إلى هؤلاء الشتائين المماطلين لهم فكريًا وعقائديًا ، وكانوا يعطون تركيا ، وبهيمنون عليها سياسياً وثقافياً واقتصادياً . حيث اختفى المارانوس اليهود من إسبانيا ، بينما استمر وجودهم في البرتغال حتى القرن العشرين يقيّمون شعائرهم اليهودية خفية ، كما اتجهوا إلى إنجلترا وهولندا وفرنسا .

وتحاول بعض الجماعات اليهودية - خصوصاً في إنجلترا حيث يوجد بهود كثيرون من أصل برتغالي - أن يهودُوا المارانوس اليهود ويدخلوهم حظيرة اليهودية العلنية . كما بذلك الإليانس (٣) جهوداً كبيرة في هذا المضمار ، واتصلت بهم الوكالة اليهودية مؤخراً، ويبدو أنها أقنعتهم بالتهود والهجرة إلى إسرائيل . وهذا يعني بالنسبة لهم حرفاً اجتماعياً ؛ لأن معظمهم فقراء يعملون بائعين متوجلين (٤) .

= الكنيسة ثم إلى حركة عقائدية مستقلة من أبرز مؤسسيها مارتون لوثر . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مجلد الثاني ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(١) الجرونيمية طريقة أسسها يهودي متصر يدعى جرونيمو فاتابي ، كان طبيباً ومستشاراً للبابا بندิกت . وتميز تلك الطريقة بالانفراد في العبادة بالأديرة wikipedia.org .

(٢) כהנוב עוז (ד"ד) האוניברסיטה האקדמית אהבה .

(٣) الإليانس جمعية يهودية تأسست في فرنسا عام ١٨٦٠م الهدف منها مساعدة اليهود في كل مكان ، والدفاع عنهم ، وتنمية المجتمعات اليهودية عن طريق التعليم والتدريب ، ونشر حركة التبشير الأوروبي بين يهود العالم ، وتدعم الشاطئ التعليمي للمسعدين اليهود في كل مكان ، وجمع المال اللازم لهم . محمود : أمين عبدالله ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد ٧٤ ، فبراير ١٩٨٤م ، ص ٦٢ .

(٤) المسيري : مرجع سابق ، مجلد ٢ / جزء ٢ ، باب ٢ .

المبحث الأول

علاقة المارانوس بالحركات المسيحانية

من أهم الأسباب التي أدت إلى معاداة الحاخامية اليهودية للمارانوس هو الدور الذي قام به المارانوس تجاه الحركات المسيحانية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت ، فقد أدى الشعور بالخوف من محاكم التفتيش واضطهاد المتصرين اليهود إلى إخفاء عقائدهم وازدواجية هويتهم الدينية إلى الاتجاه إلى الإيمان المجرد غير الملزם بأى شعائر أو عبادات ، حيث ساهم المارانوس اليهود في نشر البرغة المسيحانية التي تعوضهم عن الشعور بالانفصال عن المجتمعات ، وكان هذا الاهتمام هو الذي أدى بهم إلى الاندماج في حركات مسيحانية أخرى ونشر أفكارها ومعتقداتها ، ومن تلك الحركات التي اتصل بها المارانوس واحتلطا بها حركة الشبتائيين أو يهود الدولة التي ظهرت في تركيا على يد مؤسسها شباتي بن تسفى الذي أعلن أنه المسيح المنتظر ، وأعلن إسلامه ونادى بأسقاط الشريعة ، وتبعه جم غفير من اليهود في جميع أنحاء العالم .

وكان اليهود في أي مكان - كلما وقعوا تحت حكم دولة ما - يتربسون الخطى التي تساعدهم على البقاء في سلام ، فتجدهم يعتنقون المسيحية في إسبانيا وغيرها ظاهراً وبضمور اليهودية، وتجدهم تحت الحكم العثماني في الدولة العثمانية يعتنقون الإسلام ظاهراً وبيطونون يهوديتهم .

وسوف نتناول بالدراسة والمقارنة حركتين من الحركات المسيحانية التي ظهرت في القرون الوسطى وكان هما تأثيرهما على المجتمعات التي عاشوا فيها، حيث تشاهدت عقائدهما مع المارانوس في حل طبيعة دينية تختلف عن دياناتهم الأصلية ، وهاتين الحركتين هما حركة يهود الدولة (الشبتائيين) والحركة الفرانكية .

أولاً : علاقة المارانوس بالشبتائيين (الدولة) :

الشبتائية " شبთאות " هي إحدى الحركات المسيحانية التي ظهرت كغيرها من الحركات التي اعتنقت ديناً مختلفاً عن اليهودية وظهرت في تركيا في القرن السادس عشر ،

مؤسسها هو شباتى بن تسفى (١٦٢٦ - ١٦٧٦) الذى ادعى أنه المسيح المنتظر ، وكان مؤمناً بعقيدة القبالاه السرية اليهودية وقد صدقه كثير من اليهود حيث توجهوا له من كل مكان متسلين به في دعائهم بقولهم: "بارئ رب يعقوب، مسيح العدل ، ملك الملوك، السلطان شباتى ، ليحفظه الملك الأكبر ولبرعاة، ويرفع نجمه وملكته، ويجعل قلوب الملوك والأمراء تتجه نحوه ونحو إسرائيل بالخير ، آمين" (١) .

ويبينما كان المارانوس في إسبانيا يواجهون قهراً واضطهاداً من جانب المسيحيين ، كان اليهود في تركيا يعيشون في ظل التسامح الإسلامي العثماني ، حياة استقرار وأمان ، وكان السلاطين ينحونهم حرية العبادة وأداء شعائرهم في معابدهم بحرية تامة ، حتى أصبحوا يتمتعون بمحاصنة قوية جعلتهم لا يخضعون لسلطة الدولة ، فكانوا يشكلون حكومة داخل الحكومة العثمانية (٢) .

وهذا هو الأمر الذى كان عليه يهود الأندلس فترة العهد الإسلامي، ومثلما فعل يهود إسبانيا من حيث استغلال الحرية الدينية بفرض السيطرة والتسلل لأنظمة الدولة الداخلية وإدارتها ، واعتلاء المناصب الحيوية في الدولة ، كما ذكرنا آنفاً ، كان اليهود في تركيا يقومون بالعمل نفسه، حيث قام شباتى - مؤسس الشباتية في تركيا - بتشجيع قيام دولة لليهود على حساب الدولة العثمانية ، يعلن أنه المسيح الذي يتنتظره اليهود في كل مكان في العالم ، فكان اليهود يوجهون له بالدعاء كملك عليهم بدلاً من السلطان العثماني ، مما أدى إلى تقديمهم للمحاكمة من قبل السلطان العثماني مراد الرابع ، وخирه بين الموت أو الدخول في الإسلام ؛ فأشهر إسلامه ، وأدخل أتباعه معه إلى الإسلام - وهم الذين عرفوا بيهود الدوغة - حيث قام ياقناعهم بقبول شخصيته الإسلامية مدعياً أنه كالتى موسى الذى اضطر أن يبقى مدة من الزمن في قصور الفراعنة (٣) .

(1) S. Balakrishman : introduction to Hindu Religion, printed at Mehta offset works, New Delhi.

(2) عبدالعزيز: الشناوى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ ، ٢ / ٧٥٠.

(3) Episten, I: Judaism : A Historical presentation, penguin Books, London, 1974.
بعد شباتى بن تسفى أول مبشر للصهيونية حيث مثل توجهه بالعودة إلى فلسطين تطابقاً مع المسيحانية الصهيونية العلمانية التي ترفض عقيدة الانتظار ، بل تعتقد ضرورة التعميل بال نهاية حتى يبدأ العصر المسيحى دون انتظار المسيح .

والدوجة لفظة تركية تعني المرتد ، واصطلاحاً معناها المسلم ظاهراً ، اليهودي فعلاً وباطناً، وتعني المناقق والخائن^(١) وهي مشتقة من المصدر التركي "دونجه ليك" (Donmalik) وتعني الارتداد عن الدين . وهناك تفسير آخر للدوجة يرجع إلى كلمة فارسية تكون من شقين "دو" بمعنى "اثنين" و"مه" بمعنى "الفرقة" أي القائمة على نوعين من الأصول؛ الأصل اليهودي ، والإسلامي^(٢) وهو اسم يعني الرجوع والتراجع والتغير والعودة من مكان إلى آخر ، وبمعنى الراجع الذي يغير فكره واعتقاده^(٣) . ونلاحظ من معانى الدوجة قرب معناها مع المارانوس اليهود الذى يعنى الخائن والمنافق والمرائى .

ويطلق على الدوجة في العبرية مصطلح " (متامنيم) מזאמניים " وتعني المؤمنين أو المصدقين بـ "شباتي تسفي" شبתי צבי وقد سوا أنفسهم بـ "جرائم" גבריהם بمعنى الرجال^(٤) .

وبالمقارنة بين جهاءات الدوجة (الشبيائيين) وبين طوائف المارانوس اليهود المتصرين نجد أن كلاهما يمثل شخصيتين مزدوجتين : ظاهرية : تمثل في ديانة السكان الأصليين للبلاد التي تواجدوا فيها . وأخرى باطنية : وهي المثلثة في أصولهم اليهودية . ويلاحظ أن أفراد الدوجة كانوا يتخفون وراء أسماء إسلامية يستعملونها في حيائهم العامة ، أما أسماؤهم اليهودية فكانوا يستخدمونها داخل بيوقهم وأناء أدائهم مناسكهم اليهودية، وكذلك فعل المارانوس اليهود حال تنصرهم حيث حولوا أسمائهم اليهودية إلى أسماء مسيحية .

ولم يرتبط يهود الدوجة بحسب لا باليهود أبناء دينهم وجنسهم ، ولا بالأئراك المسلمين السكان الأصليين في مدينة سالونيك فعاشوا منعزلين عن المجتمع^(٥)

ومثلت الدوجة حركة سياسية دينية ، فكانوا يشغلون مناصب قيادية في تركيا وكان منهم "جاويد بك" الذى شغل منصب وزير للمالية في الدولة العثمانية^(٦) وقد قبلت هذه

(1) Seltzer, R.M.: Jewish people Jewish Thought, Collier Macmillan publishers, U.S.A. 1980.

(2) ظاظا : حسن : مرجع سابق ، ص ٢١٠ .

(3) A.R. Kucuk, Donmeler Tarihi, Ankara, 1992, s. 197.

(4) [ערךشبתי צבי](http://www.wikipedia.org)

(5) A.R. Kucuk, a.g.e. ٢٠٨

(6) نفسه ، ص ٣٤ .

الجماعة الإسلام لأسباب سياسية، وكانوا يستعملون اللغة العربية في صلاةهم ، والتركية في حديثهم مع عامة الناس ^(١) ، وكذلك المارانوس الذين تدخلوا في سياسة البلاد في الأندلس وتقربوا إلى الملوك ورجال البلاط المسيحي وكانوا يستخدمون اللغة الإسبانية في صلاةهم .
وكان الشتائيون يمارسون الشعائر الإسلامية ظاهرا مع أداء شعائرهم اليهودية خفية داخل معابدهم اليهودية مثلهم مثل المارانوس الذين كانوا يقيمون الشعائر المسيحية في الكنائس. كذلك مارس الشتائيون شريعة الختان فكانوا ينفذوها في العام الثالث من ميلاد الطفل، وبعض الآخر ينفذها في العام الثامن حتى لا يلتفتوا لأنظار ^(٢) وهذا ما فعله المارانوس اليهود أيضا في إسبانيا من أجل إخفاء عقائدهم السرية وأبنته في سياق الدراسة .
ومن ناحية أخرى كان تأثير الشتائين كبيراً على المجتمع التركي في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ^(٣) ، وكذلك كان تأثير اليهود المتصرين على مقدرات الدولة في إسبانيا كبيراً إلى الحد الذي أدى بالسلطات المسيحية إلى إنشاء محاكم الفتيش للتحقق من حقيقتهم .

ويرى هؤلاء اليهود - سواء المارانوس أو الشتائيون - دخولهم ديانات أخرى غير دياناتهم الأصلية ، أن المسيح المنتظر يمثل أحداً غامضاً في التاريخ سوف تظهر فيما بعد لكي ينهي مهمته . وأنه لا بد له من اتباع سلوك غير مفهوم و مليء بالخطايا ، لكنه في حقيقته مهمة إلهية يقوم بها الإنقاذ شعبه ، ومثال على هذا ما ادعاه المارانوس بتطابق حالم مع استير الواردة قصتها في التوراه ويعتقد اليهود أن الإنسان اليهودي مقدس مهما اقترف من ذنوب، ولا بد للمسيح أن ينزل لعالم الدنس لتطهيره ، حسب زعمهم ؛ لذا فهم يضفون على الخطيئة مظهر القدسية ، ومن هنا أعطوا للمسيح إمكانية الدخول في غير دينه ^(٤) .

وكان يهود الدوحة يحرمون الزواج من غيرهم ، وهذا الأمر فعله المارانوس اليهود الذين كانوا لا يتزوجون إلا فيما بينهم .

(١) نفسه ، ص ٤٢ .

(٢) نفسه ، ص ٢٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٣ - ٣٦ .

(٤) The Zohar, ٥. Vol, Translated by Harry Sperling & Maurica Simon, The soncino press, London, Jerusalem, New York, reprinted ١٩٧٠. p ٢٨ .

وهذا التشابه في العقائد والمارسات السرية ، شجع كثيراً من المتصرين اليهود على الانضمام والاندماج في حركة الشتائيين ، أثناء هجرتهم الى تركيا بعد اضطهادات محاكم التفتيش وعلى الأخص في مدينة سالونيك التي كانت مقراً رئيساً ليهود الدولة وشهدت أكبر تجمع يهودي في أنحاء تركيا ، ومن جانب آخر كان اليهود والمارانوس المبدلين لدينهم يرغبون في عودة الحكم السياسي لليهود بعد الانحدار السياسي الذي تم التعبير عنه بطردهم من إسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر الميلادي ، وكذا الرغبة في إحياء الحكم السياسي الكاثوليكي المسيحي^(١) .

كذلك التقى المارانوس والشبيانيون في عدائهم للحاخامية اليهودية والتزوع إلى التحرر من الشرائع التي تفرضها الديانة ، ومثل هذا الاتجاه معاداة الحاخامية اليهودية لكل منهما حيث طالبت بالقضاء عليهم واعتبارهما خطرا على اليهودية .

ثانياً : المارانوس والفرانكية "בית הפלנkitים":

الحركة الفرانكية هي إحدى الحركات التي تعبّر عن ازدواجية الاعيان في اليهودية ، والتي ظهرت عام (١٧٥٩ م) في مقاطعة بودوليا التابعة للدولة العثمانية ، وتعود من الحركات المسيحانية المشاهدة فكراً وعقيدة للمارانوس وهي امتداد للشباتية . ومؤسسها هو يعقوب فرانك "יעקב פרנק" ، الذي أعلن أنه المسيح المنتظر عام ١٧٥٥ م ، حيث أعلن أن الروح التي كانت تسكن شباتي تسفى قد تقمصته وتتجسدت فيه . وفي عام ١٧٥٧ اعتُرف به الشبيطانيون وأعلنوه زعيماً عليهم .

وكان فرانك يشكل نطاً فكريّاً إلحاديّاً خاصّاً وذلك ياعلانه :

"أن الطريق للحياة هو التحرر من كل الشرائع والأديان والقوانين" ويرى أن "قمة الصعود تأتي حينما يسقط الإنسان إلى القاع ، وإصلاح الروح لا يتأتي إلا باتباع سلوك الفجور"^(٢).

(1) כהנוב עוז (ד"ר) המכלה האקדמית אהבה.

(2) ناظم ، مني . المسيح اليهودي ، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر دولة الإمارات العربية المتحدة ، أبو ظبي ، سلسلة ثقافية قومية ، نحن وهم ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ .

وقد اعتبر عدد كبير من اليهود في أوروبا أن هذه الأفكار هي أحسن الطرق إلى الحرية السياسية والروحية^(١).

وقد قامت المحكمة الدينية اليهودية بمعارضة هذه الحركة بسبب ممارساتها المها طقة والملحدة؛ فأسقط الفرانكيون اليهودية عنهم، وأكروا أن معتقداتهم تشتراك مع الكنيسة، وأعلنوا معاييرهم للتلמוד، وطلبو حماية الكنيسة، ووافقت الكنيسة، بغرض تحقيق التنصر الجماعي لهم وأجريت مناظرة بين الكنيسة والحاخامية، كانت نتيجتها أن قبلت الكنيسة نصر فرانك وأتباعه، وظل أتباعه يعتقدون أنه المسيح المذنب. وكان أتباعه يتزاوجون فيما بينهم، ومنهم من سلك الحركات الماسونية وكان من بينهم رجال الثورة الفرنسية.

ومثلاً فعل يهود الدوقة والمارانوس اليهود فإن الفرانكيين كانت لهم أسماء مسيحية إلى جانب أسمائهم اليهودية^(٢) حيث سمى يعقوب فرانك نفسه بـ "سانتوسينور" أي السيد المقدس وأعلن كفره بالتلמוד^(٣).

وتعود الفرانكية إحدى الحركات التي ظهرت في التاريخ التي لا تنتمي إلى دين من الأديان لتعبر عن اليهود الخارجيين عن الدائرة اليهودية معتقدين ديانات أخرى ومتخذين هوية دينية شكلية، فينتهي أمرهم بالإلحاد ويصبحون غير مقبولين. سواء من أبناء دينهم أو من أصحاب الديانة التي اعتنقوها.

وأخيراً نقول إننا إذا ما قارنا عقائد وممارسات اليهود المارانوس اليهود في إسبانيا والبرتغال مع طائف اليهود الشبتانيين والفرانكيين الذين عاشوا في تركيا، فعلى الرغم من اختلاف طبيعة كل بلد عن الأخرى، واختلافات الجنس والديانة واللغة، إلا أننا نجد هم يشترون في ممارسات واحدة من حيث المخالفة على السرية والتخفى، والقدرة على إخفاء الحقائق وإظهار غير ما يطئون، ثم قدرتهم على التسلل إلى عمق المجتمع الذي يعيشون فيه ويؤثرون فيه، مع الاحتفاظ بعزلتهم فيما بينهم، وفي الوقت نفسه يتمكنون من أداء شعائرهم بعيداً عن الأنظار، متهمين شخصيتين منفصلتين، إحداهما ظاهرة آيا كان

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٢٥-٢٢٧

(٢) سوسة ، مرجع سابق ، ص ٤١١ .

(٣) ظاظا : مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

اعتقادها، والأخرى باطنة تعتقد اليهودية . وقد اجتمعا جيئاً في رفض الحاخامية اليهودية لهم.

وبال مقابل فقد قامت المؤسسة الحاخامية اليهودية بتشجيع حاكم التفتيش على تعقب يهود المارانوس والقضاء عليهم ، وحدث نفس الشيء أيضاً مع الشتائين الذين اعتبرهم الحاخامية اليهودية فئة مهرطقة خارجة عن دائرة اليهود، وكانت تشجع السلطات العثمانية للقضاء عليهم؛ حتى أن الحاخamas اليهود كانوا يطلقون على الشتائين لفظ "الكافار" ويطلقون على اليهودي المنتصر لفظ "المطرود من حظيرة الدين" ^(١) .

وعلى جانب آخر عارض المارانوس ، الحاخامية اليهودية التي رأوا فيها نوعاً من التشدد والجمود والبعد عن الفكر التحرر من كل قيد ، ووجدوا ضالتهم في تحطيم كل القيود بالدخول في أديان أخرى من أجل النفاذ إلى داخل المجتمعات التي يعيشون فيها . وقد التقوا جميعهم في ترويج الفهوم القبالي اللورياني المبطل للشريعة والمزيد للتيار الروحي الإنساني المحرر من قيود الشريعة ، والخروج من دائرة الدراسات التلمودية التي نادى بها الحاخamas ، الأمر الذي أدى إلى ظهور حركات يهودية مسيحية .

(١) ظاظا : حسن : مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

المبحث الثاني

موقف الحاخامية اليهودية والشائع من المارانوس

عد بعض حاخامات اليهود المارانوس يهوداً مرتدين وغرباء عن اليهودية ، وذلك لكونهم تنصروا بيارادتهم . واعتبروهم طائفة ملحدة ؛ وذلك لظروف تواجدها بين مجتمعات تأثرت بفلسفات عقلية معاصرة غير يهودية في عبادتهم وطقوسهم وعقائدهم ، الأمر الذي أدى بالحاخامية اليهودية بتشجيع محاكم التفتيش على تعقبهم والقضاء عليهم مما يلزم الدراسة توجيه النظر والبحث في موقف هؤلاء المتصرين من الشريعة اليهودية وبالمقابل موقف المشرعين اليهود منهم سواء أكان قبولاً أو رفضاً .

موقف المتصرين اليهود من الشائع اليهودية :

إن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو :

ما موقف المتصرين اليهود الذين حاولوا التمسك باليهودية في الباطن بالنسبة للتشريع اليهودي؟

وما هو موقف الشخص الماراني الواقع تحت الجبر على إخفاء يهوبيته وإظهار المسيحية ؟

قطبها لما ورد في تشريع "موسى بن ميمون" "רמב"ם" ^(١) : "لابد وأن يلتزم كل بيت في إسرائيل بعبادة الرب ، والأفضل لليهودي أن يموت من أن يخرج عن الشريعة ، أما في حالة الإجبار والقسar على غير ذلك فيفعى اليهودي من العقاب" . وقد جاء تشريع موسى بن ميمون في هذا الشأن "إذا أجبر اليهودي على إلغاء شريعة رغمًا عنه - قسراً وإجباراً - فهو معفي من العقاب" ^(٢) .

(١) موسى بن ميمون أشهر علماء ومبرئي اليهود في القرون الوسطى ، سبق ترجمته . (he.wikipedia.org)

(٢) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥ – ٣٥٦ – انظر أيضًا ספר משנה תורה – יד החזקה להרמב"ם – שנת הרכ"ה – ל'ב"ע – עם פרוש רבי שמואל גלזר – volumel-maimonides

وبحسب تشريع الراب " إسحاق بار شيشت " ר' יצחק בן ר' ששת ברפת ^(١) :
فإن المتصرين الذين لم يستطيعوا الرجوع إلى فلسطين ، وظلوا في أماكنهم ، ومارسوا شرائعهم اليهودية بينهم وبين أنفسهم فيكون الحكم عليهم أنهم مثل اليهود الكاملين ، وتعد ذبائحهم حلال ، وشهادتهم موثوق بها في المحاكم ، أما في حالة استطاعة المتصر الهروب والعودة لإسرائيل ، وفضيله البقاء حفاظاً على أمواله ومتلكاته، فهو في نظر المشرعين غير صالح ، بل مرتد وغير جدير أن يكون يهودي، ولا يعتد بشهادته ^(٢) .

ويخالف هذا الرأي بعض المشرعين فيرون أنه إذا سُنحت لهم الفرصة للهرب ، ولم يقوموا بهذا العمل خوفاً على ممتلكاتهم ، وتجاوزوا عن بعض الشرائع اليهودية بسبب الإجبار الخارجي ، فهو لا يجب الخوف منهم ولا يعتبرون مرتدين ^(٣) .

والحقيقة فإنه بمرور الزمن فقد اختفت العقيدة والتقاليد اليهودية من ذرية عائلات المتصرين اليهود في إسبانيا والبرتغال حيث تزوجوا من عائلات خارج اليهود ، وسافر الكثير منهم في كل أنحاء العالم ؛ لذلك ساد بين اليهود حالة من البلبلة والشك حول موقف المتصرين الذين عادوا لليهودية ، خصوصاً فيما يتعلق بالزواج وال العلاقات والأنساب ^(٤) .

موقف التشريع اليهودي من زواج المتصرين :

اختلت الآراء وتضاربت بشأن زواج المتصرين ، فالشريعة اليهودية تحرم الزواج من غير اليهود بحسب المادة ٣٩٦ التي ورد فيها: " إن الزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو العكس باطل ، والحياة الزوجية القائمة بينهما تعتبر فجوراً وزناً مستمرتين ، والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة المرذولة يعتبرون أبناء زنا " ^(٥) .

(١) رأي يتسحاق بر شيشت برفت ويختصر اسمه إلى " هاربياش " הריב"ש" ولد عام ١٣٢٦ م في برشلونة إسبانيا ، وتوفي في عام ١٤٠٨ م في الجزائر وهو مشروع لكثير من الفتاوى اليهودية والتي استخدمها يوسف قارو مؤلف الشولchan עarrowح كأساس لكتابه (wikipedia.org).

(٢) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٥) ظاظا : مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

وفي هذا الشأن يقول ابن شمعون "דוד בן שמעון" ^(١) : "لا يكفي بوحدة الدين بين الزوجين ، بل ينص على وحدة المذهب أيضاً" استناداً إلى المادة ١٧ التي ورد فيها : "الدين والمذهب شرط لصحة عقد الزواج ، فإذا كان أحد الاثنين من غير الدين أو من مذهب آخر فلا يجوز العقد بينهما ، وإلا كان باطلًا". وتضيف المادة ١٨ أنه "يصح أن يعقد بين الاثنين كان أحدهما أجنبياً ثم اعتنق الدين أو المذهب اعتناقًا شرعياً" ويضيف الشرح على ذلك :

"أن الأولاد الذين يولدون من زواج اثنين أحدهما يهودي ، والثاني أجنبى لصيق باليهود عن طريق اعتناق دينهم ، لا يصح أن يكون منهم ؛ كهنة في إسرائيل" ^(٢) . وقد شرع بعض الربانيين أمثال "إسحاق بر شيشيت" والراب "شمعون بن تساميغ دوران" ^(٣) "שמעון בן צמחה דוראן" ^(٤) في الجزائر ، وإلياهو مزراحي "רבי אליהו מזרחי" ^(٥) في القسطنطينية ، "أن ذرية المتصررين اليهود بعد عدة أجيال يعتبرون يهوداً من ناحية الزواج والطلاق والبيوم" ^(٦) وخلافه ^(٧) وهناك من شرع أن أبناء المتصررين وذريثم الذين ولدوا بعد تغيير ديانتهم اليهودية لل المسيحية من قبل والديهم يعتبرون مثل الأغيار فهم لا يحتاجون للبيوم ، أما إذا تهودوا ، فيكون مسموحاً لهم أن يدخلوا الشعب إسرائيل ^(٨) . وقد نتج ذلك بسبب أن ذرية المتصررين اليهود الذين عاشوا بين الأغيار أكثر من مائة عام قد

(١) داود بن شمعون ولد في الرباط بالمغرب عام ١٨٢٦ ومات ١٨٨٠ مشروع ورجل دين يهودي ، تولى رئاسة الطائفة اليهودية في شمال أفريقيا ويختصر اسمه إلى "دب"ش" (אינציקלופדייה יידישוט אחרונות - www.ynet.co.il/yaan).

(٢) ظاظا : حسن : مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

(٣) رابي دوران شمعون بن تساميغ ويختصر اسمه إلى راشتس "דشب"ץ" مشروع يهودي ولد في عام ١٣٦١ في برشلونة بإسبانيا (he.wikipedia.org) .

(٤) رابي إلياهو مزراحي (١٤٣٥-١٥٢٦) أحد المفسرين لكتابات راشي ويختصر اسمه إلى "הררא"ם .

(٥) البيوم شريعة يهودية خاصة بالأحوال الشخصية تقول أن الأرملة اليهودية التي مات زوجها ولم تنجب منه يجب تزويجها لأنها الأعزب جريراً ، وإذا لم تنجب منها فإن المولود يحمل اسم أخيه الميت . ظاظا : مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٦) האינציקלופדייה העברית . ع ٣٥٦ - ٣٥٥ . (الموسوعة العربية) .

تزوجوا من أجنبيات، وهذا فإن يهوديهم مشكوك فيها ، ويتم التأكيد من نسبهم اليهودي عن طريق الأم .

أما المتنصر الذي كان يامكانه الهروب ولم يهرب فيعاقب بتغريمه بـلا يرث ممتلكات إسرائيلية ، والمتنصر الذي تاب وعاد لليهودية فإنه يستحق نفس حقوق الوارثين بلا أي نقص^(١) . وقد ألزم حكماء صفد وعلى رأسهم رابي "يعقوب بير آب" عقاب المتصررين التابعين بالجلد على عدم تنفيذهم الوصايا . أما المتنصر الذي هرب من أرض مولده ولم يختن فكانوا يمنعونه من استخدام أدوات المعبود حق يتم اختانه^(٢) .

المتصرون في أدب الأسئلة والأجوبة هاشيلوت وهاتشوفوت השאלות וההתשובות

الخاص بالشرائع:

تركـت واقـعة طـرد اليـهود من إسـپانيا انـطـبـاعـاً وأـثـرـاً عـلـى أدـبـ الـأـسـئـلـةـ وـالـأـجـوـبـةـ "סـפـרוـתـ הـשـאـלـוـתـ וـהـתـשـוـבـוـתـ"^(٣) الخـاصـ بـتـلـكـ الفـتـرـةـ ؛ وـنـظـرـاً لـأـنـهـ لـاـ يـسـعـ اـخـالـ لـمـنـاقـشـةـ كـلـ القـضاـيـاـ التـشـرـيعـيـةـ الـمـهـتـمـةـ بـشـتـوـنـ الـمـنـتـصـرـينـ فـسـوـفـ نـقـصـرـ عـلـىـ قـضـيـةـ وـاحـدـةـ وـهـيـ ،ـ ماـ هـوـ المـوقـفـ التـشـرـيعـيـ لـلـمـنـتـصـرـينـ الـيـهـودـ فـيـمـاـ يـتـعـلـقـ بـالـزـوـاجـ وـالـطـلاقـ؟ـ

(١) האינציקלופדייה העברית . גז - ٣٥٥ - ٣٥٦ ..

(٢) المرجع نفسه .

(٣) أدب الأسئلة والأجوبة هو أدب الحاخامات الكبار وفروعه التي كتبها "الجماعونيم" (رؤساء المدارس الدينية) والحاخامات الصالحين في التوراة وفي إصدار الفتاوى ، وكان في صورة أجوبة على أسئلة في أمور تتعلق بالشريعة في موضوعات متعددة ، وكان الحاخامات الأوائل قد اعتادوا الإجابة على الأسئلة المتعددة التي كانت توجه إليهم عن طريق الكتابة ، وخاصة بشأن الشريعة ، باعتبارهم "الجماعونيم" و"رؤساء الشيفورت" في بابل . وقد خضعت الأسئلة والأجوبة لتعديلات كثيرة حتى وصلت إلى هدفها ، وكانت الأسئلة ترسل بواسطة كبار التجار البابليين من بغداد والبصرة من كانوا يذهبون لترويج بضائعهم في أوروبا وأفريقيا أو العكس ، وذلك عن طريق القوافل ، وقد تم حفظ آلاف الإجابات التي أصدرها "الجماعونيم" و "عظماء الشريعة والفقه اليهودي" مثل "هريف" والحاخام "موسى بن ميمون" والحاخام "راشى" ، وغيرهم، حتى اليوم ، و"الأسئلة والأجوبة" أو "فقه الفتاوى" ذات أهمية بالغة في قضايا تاريخ الدين اليهودي وفقهه ، وتغير مصدرًا غایة في الأهمية للباحثين في تاريخ اليهود في كل مجالات الحياة . الشامي : رشاد ، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ٢٠٠٣م ، ص ٢٨٠ .

وهي التساؤلات التي دار حولها مجادلات كثيرة استمرت حتى أيامنا هذه^(١).
وكان المارانوس اليهود في بداية تصرهم لا يتزوجون إلا فيما بينهم . وكانت القيادة الروحية للجماعة في يد النساء العجائز، وكان يهود المارانوس يُشكّلون قوة متماسكة فيما بينهم، فالتجار اليهودي المتصدر يرفض أن يشارك تاجراً آخر حتى يتأكد من هويته ، وقد ساعد هذا التماستك على تسهيل الحياة الاجتماعية للمارانوس^(٢) غير أن هذا الوضع قد تغير بعد ذلك نتيجة للاختلاط بين المسيحيين واليهود لسنوات طويلة فأصبحوا يتزوجون من غير دينهم .

والسؤال الآن هو: ما موقف المتصرين كيهود ، هل يمكن اعتبارهم يهوداً كاملين ؟ أم أنهم يحتاجون إلى طهارة واغتسال عندما يرغبون العودة إلى اليهودية خشية أن يكون آباؤهم قد تزوجوا من سيدات أجنبيات ؟

وللإجابة على هذا السؤال نذكر بعض آراء الربانيين والمشرعين في هذا الشأن : ففي تشريع رابي "شلومو بن أفيراهام بن أديرت" " רבי שלמה בן אברהם בן אדרת"^(٣) فيما يتعلق بالمتصرين في زمانه يقول : " لا يجري على المتصرين ما يجري على المتهودين ، ولا يحتاجون إلى طهارة حيث إن الطهارة لا تكون إلا للمتهود" .

ويقول "رابي إلياهو مزراحي" لا نطالب المتصرين اليهود الذين جاءوا تائبين من إسبانيا إلا بالاستئناف فقط "^(٤)" .

والسؤال الآخر هو : هل يمكن اعتبار المتصرين وذرilletهم يهوداً مادام قد ثبت أنهم لم يختلطوا بأغيار أو لم يشار حوفهم شك أنهم تزوجوا زوجاً مختلفاً ؟ ويجيب رابي "شعون دوران" على ذلك فيقول :

(1) אליאב שוחטמן . מעםם ההלכתי של האנושים לאור ספרות התשובה . שנת תשנ"ג . ٢٠٠٧-٤-٢٨ . www.daat.ac.il .

(2) المسرى : موسوعة ، مجلد ٢ / جزء ٢ / باب ٢ .

(3) رابي شلومو بن أفيريت ، ولد برشلونة في عام ١٢٣٥ وتوفي في عام ١٣١٠ يختصر اسمه في العبرية إلى رشبا "רשבא" من كبار مفسري التوراة والعلمود في فترة الريشونيم ، وهي الفترة التي تحدى من القرن الحادي للقرن الخامس عشر تقريباً ، وقد تم استخدام قواه كأساس لكتاب الشولchan עארوخ الخاص بالتشريعات اليهودية مثله مثل رابي يتسعق بر شيشيت . www.wikipedia.org .

(4) אליאב שוחטמן . מעםם ההלכתי של האנושים לאור ספרות התשובה .

"حرص المتصرون اليهود على ألا يتزوجوا من أجنبيات منذ بداية تصرهم ، وكان زواجهم يتم فيما بينهم فقط ، وساد بينهم ذلك .. جيل بعد جيل .. وكان كل متصر يريد العودة لليهودية يتم التأكيد أن والديه من إسرائيل وليسوا أحذب .. لذلك فهو لاء المتصرون اليهود لا تفرض عليهم الطهارة مادام تم التأكيد من أصلهم اليهودي، وعلى الرغم من وجود قلة من المتصرين اليهود اختلطوا بالشعوب الأخرى واتخذوا لهم زوجات من بنائهن إلا أن هؤلاء قلة قليلة جداً ... أما الذين لم يتزوجوا من أجنبيات فهم كثيرون جداً^(١) .

و جاء في إحاجة أخرى : (إن الزواج بين متصر وأجنبية ، أمر مكره ومذموم ، ولا يجب الاختلاط بنسل هذا الزواج ؛ لأن هذا النسل يعتبر مثل نسل الأمم الأخرى (الجويم أو الأغيار) .

أما "الرأي يوم طوف تسهالون" "יום טוב צהלון" ^(٢) فقد كان أكثر تساهلاً في هذا الشأن حيث اعتبر ذرية المتصرين يهوداً كاملين فيقول :

"ليس هناك خوف أن يكون والد هذا المتصر الأغلق قد تزوج من أجنبية وولدت له هذا الابن، وعلى هذا فما ينبغي عليه ، هو أن يخاف ويفتسل مثل الأغيار الذين ي يريدون التهود".

وفيما يختص بـ "اليوم (الأرمלה اليهودية التي تلزم بالزواج من أخي المتوفي)" فقد ورد سؤال (حول زوجين من المتصرين اليهود في البرتغال تزوجا حسب الشريعة اليهودية وكانا يسران في عقائدما مسلك الأمم الأخرى وكانتا يدرسان شريعة السبت علينا ، ثم عادا إلى إسرائيل ، وعقدا زواجهما حسب شريعة موسى ثم مات الزوج دون أن ينجف ، فهل هذه الزوجة تصبح ملزمة بشريعة اليوم أم لا؟).

وفي ردء على هذا السؤال يقول رأي "يوم طوف" ، أن تشريع اليوم في هذه الحالة يكون قائمًا . أما في حالة ذويان المتصرين بين الأغيار فلا يكون هناك إلزام بشريعة اليوم .

(١) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוטים לאור ספרות התשובה.

(٢) ويختصر اسمه في العبرية إلى ماهيريتاس (Maharit'as) (١٥٥٩-١٦٣٨) من حكماء صفد، عاش بعد طرد اليهود من إسبانيا بأجيال . www.wikipedia.org

ويؤكّد على هذا رأي "أفراهام جبريل" "אברהם גבריאל" فيقول : إذا كانت لهم القدرة على تخليص أنفسهم ، واتخذوا لأنفسهم زوجات من بنات الأغيار، ولم يحرضوا على الزواج من بنات المتصرين اليهود ، فهم يعتبرون أغياراً كاملين ولا إلزام لهم بشرعية اليوم .

وكتب رأي "يوسف بن ليف" יוסה בן דוד אבן לב^(١) أنه بمزور الوقت بدأ المتصرون يتخذون أجنبيات كمحظيات وعشيقات لهم ، وهو أمر غير مسموح به في الشريعة اليهودية .

أما المتصر الذي يعرف أن أمه أجنبية أو شك في هذا ، فيجب عليه أن يمر عبر قوانين اليهود مثل الأغيار . وقد تناول رأي "شلومو بن زمرا" דוד בן שלמה אבן זמרה^(٢) هذه المسألة فقال أنه إذا عرف أن جدة المتصر كانت وثنية ، ووالده إسرائيلي فلا بد له من الاغتسال كما ورد في شريعة التوراة^(٣) . وما سبق يتضح تناقض أراء المشرعين اليهود في قانونية اعتبار هؤلاء المتصرين يهودا أم أغيار .

شرعية عقود الزواج للمتصرين اليهود :

كان محرماً على اليهود المتصرين المقيمين في إسبانيا والبرتغال تفيذ وصايا الديانة اليهودية ، فيما يختص بطقوس عقود الزواج حيث كان يفرض عليهم إجراؤها في الكنيسة . وابناعاً لمبدأ التخفي كان اليهود المتصرون يؤدون طقوس الزواج مرتين ، مرة علنًا في الكنيسة ، ومرة أخرى سرًا وفقاً لطقوس الزواج بحسب الشريعة اليهودية ، وبمزور الوقت توقف المتصرون عن هذه العادة وأكتفوا بأداء مراسيم الزواج في الكنيسة فقط كما يشير رأي "يوم طوف تسهالون"

(١) رأي يوسف بن داود بن ليف من حكماء تصالونيك في القرن السادس عشر اشتهر بشرعنه وفتواه الدينية ويختصر اسمه إلى " מהר" בן לב أو " מהרייב" לב . www.wikipedia.org

(٢) داود بن شلومو بن زمرا (١٤٧٩ - ١٥٧٣) مؤلف كتاب استلة وأجوية للراب شلومو زمرا ويختصر اسمه إلى هارديباز " הרדי'ז " . www.wikipedia.org

(٣) שאלות ותשובות . מגחת אליעזר . ל��וטי תשובה . שייבר חיים אליעזר שפירא ירושלמיים . כסלוי תשנ"ג . חלק חמישית . סימן א – סימן ה .

والسؤال هنا : كيف تنظر الشريعة لعقود الزيجات التي ثبتت في الكنيسة ولم يتم بوجب الشريعة اليهودية وأرادت الزوجة التزوج بأخر يهودي ؟ .

والرد على هذا السؤال يتفرع إلى عدة اتجاهات ، فإنه إذا اعترفت الشريعة بصلاحية هذا العقد ، فالمرأة لا تستطيع الزواج من شخص آخر يهودي ، إلا إذا حصلت على وثيقة طلاق من زوجها الأول - طبقاً للشريعة اليهودية .

أما إذا ذهبت الزوجة وتزوجت شخصاً آخر بلا وثيقة طلاق صالحة شرعاً ، فإن أولادها من الزوج الثاني يعدون مامذيريم "מַמְזִירִים" أي أبناء غير شرعيين^(١) .

وقد حدثت عدة وقائع تتعلق بانفصال أزواج من المتنصرين اليهود ، فقد هرب الزوجة من إسبانيا أو البرتغال ، بينما يرفض زوجها المهرب معها ، فتشركه وتذهب وحدها إلى إسرائيل . فإذا أرادت هذه المرأة الزواج مرة أخرى ، دون حصولها على وثيقة طلاق من زوجها السابق . فماذا يكون وضعها ؟

وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور مشكلة لمجموعة كبيرة من النساء المعلمات "לְגָבוֹת"^(٢) اللاتي حرم عليهن الزواج مرة أخرى بلا وثيقة طلاق ، مما اضطر هؤلاء النساء أن يتزوجن من غير اليهود ، وقد نتج عن ذلك ظهور فئة جديدة من غير المؤهلين دينياً للدخول في الشعب اليهودي ، ونتج عنها ظهور أبناء غير شرعيين . وقد أحدثت تلك الظاهرة تأثيراً على البنية الدينية للمجتمع الإسرائيلي^(٣) .

ما أدى إلى منع حكماء إسرائيل من السير في هذا الطريق ، حيث شرعوا أن عقود الزواج للمتنصرين اليهود غير نافذة ؛ لأنها تؤدي إلى ظاهرة المامذيريم أو الأبناء غير الشرعيين .

صلاحية شهادة المتنصرين في رأى المشرعين اليهود :
من أهم الاستفسارات التي دارت بشأن أوضاع هؤلاء المتنصرين:

(١) אליאב שוחטמן . מעמידם ההלכתי של האנושים לאור ספרות התשובה .

(٢) هي المرأة المعلقة في الديانة اليهودية، والتي لا تغير مطلقة أو متزوجة لسبب ما في الشريعة www.wikipedia.org.

(٣) אליאב שוחטמן . מעמידם ההלכתי של האנושים לאור ספרות התשובה .

ما مدى صلاحية المتصر للشهادة على عقود زواج أو طلاق وما شابه ذلك ، وخاصة لذلك المرتد عن اليهودية قسراً .

بووجه عام فإنه طبقاً للشريعة اليهودية فإن كل المتصررين لا يمكن اعتبارهم صالحين للشهادة أو مؤهلين لها ؛ وذلك لأقبح خاطئون في نظر الشرع ، فالشريعة تقول أنه "يفضل للشخص أن يموت ولا يفعل ثلاث خطايا ومنها الوثنية"^(١) ولهؤلاء المتصررون اليهود لم يحافظوا على الشريعة ، بل غيروا عقيدتهم، وتحظوا كل الوصايا التي تفضل الموت على تحطيمها ، فهم إذن خطأة وغير صالحين للشهادة^(٢) .

لكتنا نجد رأي "إسحاق بن شيشيت" في عدد من ردوده حول صلاحية شهادة اليهودي المتصر فيقول : "إن قول الشريعة : يقتل ولا يتحطى الوصية نافذ ، إلا في حالة خوف اليهودي من أن يقتل ، فهو في هذه الحالة إذا تحطى الوصية يكون صالحًا للشهادة ما دام فعل ذلك رغمًا عنه ؛ وذلك لأن خشية الموت تكون قد حلّت عليه ." .

ويشير رأي "إسحاق بن شيشيت" في هذا - مستشهدًا بقول رأي شلومو بن أفراهام بن أديرت - فيقول : "إن الإسرائيلي الذي غير عقيدته نتيجة الخوف ، فعلى الرغم من أنه أخطأ ، إلا أنه إسرائيلي"^(٣) . وهذا الرأى يعطي قدرًا من التسامح مع المتصر .

إذن متى يعد المتصر المجبور مؤهلاً للشهادة؟

يقول المشرعون اليهود : إذا كان المتصر محافظًا على الوصايا اليهودية بينه وبين نفسه ، فإنه يكون صالحًا للشهادة ، أما إذا كان بينه وبين نفسه متخطيًا للوصايا وخارجًا عليها فهو غير صالح للشهادة !! .

أما بالنسبة لشهادة المتصررين المقيمين بالخارج حالياً يقول : "إسحاق برشيشيت" إن كان المتصر في البداية يتحطى الوصايا رغمًا عنه ، فإنه يتحطى لها الآن برغبته ويعني ذلك أنه غير مقبول، ويؤكد "هاريبياش" هذا الرأى فيقول :

(١) يطلق اليهود الوثنية على كل من هو غير يهودي فيعدونه أجنبياً أو وثنياً .

(٢) אליאב שוחטמן . מעמדם ההלכתי של האנושים לאחר ספרות התשובה .

(٣) שאלות ותשובות . מנהת אלעזר . חלק חמישי . סימן א – סימן ח .

"إن هؤلاء المتنصرين اليهود الذين فضلوا البقاء في أراضي الارتداد عن اليهودية طوال الوقت، ولم يهربوا في الوقت الذي أتيحت لهم الفرصة للهرب ، مثلما فعل متنصرون آخرون، فهم يعدون خاطئين وغير مؤهلين أن يكونوا شهوداً .
أما إذا كانوا تحت وطأة الإكراه، فإنهم يعدون يهوداً كاملين "(١).

" أما في حالة طلاق امرأة من زوجها المتنصر وشهادتها على طلاقها متنصرون يهود ؛ نجد تشريع رابي "إسحاق بر شيشيت" في هذا الأمر يقول أن هذا الوضع يوكل لتحقيق حاخامي هؤلاء الشهود حتى يتم التأكد من أهليةتهم للشهادة ، ومن ثم يتم إباحة وبيان شرعية وثيقة الطلاق بالاعتماد على شهادتهم عليها .

وفي سؤال آخر حول مدى صلاحية عقد قم أمام شهود من المتنصرين اليهود ، واتضح أنهم من خارقى الوصايا بينهم وبين أنفسهم ؟ فبحسب رأى رابي "إسحاق بر شيشيت" ، فإن هذا العقد يكون لاغياً وغير شرعى . ويعزز هذا الرأى رابي "شعون بن تساميغ دوران" فيقول : "على الرغم من صلاحية المتنصرين للشهادة ، إلا أنه إذا اتضح أنهم غير حربيين على الوصايا ويتجاوزونها فإنهم يعدون كسائر الوثنين ، أي غير جديرين بالشهادة "لزاده" والعقد الذي يتم أمامهم لا يعتبر نافذاً .

أيضاً أثير تساؤل آخر وهو : " ما هو وضع المرأة التي تم عقد زواجها على رجل من الأغيار وكان والده أيضاً من الأغيار ويشك أن أمه من نسل إسرائيل ، أو أنها كانت من المتنصرين اليهود؟

فبحسب الشريعة اليهودية ؛ فإن الرجل الذى من الأغيار ويتزوج فتاة إسرائيلية وينجب منها ، فإن عقد زواجه يكون نافذاً .

وبحسب ما سنه رابي "إسحاق بن شيشيت" ، ورابي "شعون بن تساميغ دوران" فإنه لا بد من أن تخضع كل حالة من تلك الحالات إلى فحص مدى صلاحية وشرعية عقد المرأة المتنصرة ومعرفة من هم شهود العقد ؟ هل كانوا يحافظون على الشريعة اليهودية بينهم وبين أنفسهم أم لا ؟ "(٢) .

ومن الطبيعي أن هذا الأمر كان يلقى صعوبة شديدة نظراً لكثرة الحالات التي من هذا النوع .

وطبقاً لما ورد في تشريعات حكماء سالونيك :

(1) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוגים לאור ספרות התשובה .

(2) שאלות ותשובות . מנהת אלעזר . חלק חמישי . סימן א – סימן ה .

فإن " كل إمرأة تزوجت من رجل إسرائيلي ارتد عن اليهودية فإن عقد زواجه عليها يكون لاغيا ، وفي هذه الحالة تعد محللة لأى أحد من إسرائيل يريد أن يتزوجها ، وذلك لعدم وجود شهود مؤهلين ، ولا يوجد في هذه الحالة إلزام لشرعية اليوم ، ومن حقها أن تنزوج أى شخص إسرائيلي " .

وتجدر بالذكر فإن السلطات الروسية كانت تسن قوانين تفرض على عدد من المتصرين اليهود في روسيا التخلص عن العقائد جيغا ، ومنها اليهودية بما يشمل طقوس الزواج اليهودية ، ولم يكن باستطاعة المتصرين الخروج منها ، وكان الزواج وطقوسه يتم بين المتصرين في روسيا بشكل مدني .

وما سبق يتضح لنا تضارب الآراء حول أوضاع هؤلاء المتصرين لدى الحكماء والشريعين والحاخامات اليهود ومدى إمكانية السماح لهم بنيل حقوقهم من اليهودية ، فمنهم من اعتبرهم يهوداً كاملي اليهودية في حال عودتهم لليهودية ، والبعض الآخر اعتبرهم مارقين وخارجدائرة اليهودية .

ويتضح لنا من الاستفسارات والمخاورات التي دارت حول زواج المتصرين باليهود - والتي عرضناها من خلال آراء أهل الشريعة اليهودية ، والتي تبدو بشأن الزواج من الأغيار كما يطلقون عليه — فقد حكم بعضهم ببطلانه ، غير أن البعض سمح به ، والحقيقة فإن موافقة المشرعين على قبول هؤلاء يأتي من الرغبة في تشجيع العودة إلى إسرائيل ، ضماناً للانتماء اليهودي ، سواء على مستوى الآباء أو ذرياتهم من الأبناء ، والمرأة التي تزوجت في الخارج وعادت لترغب في آخر حسب شريعة موسى عليه السلام ، فإنه لا يهم عند معظم المشرعين اليهود إذا كانت تحمل وثيقة طلاق من زوجها الأول — الأجنبي — أم لا ، باعتبار أن هذا الزواج غير معترف به ، وفي هذه الحالة يكون الزواج الأول كان لم يكن ، وفي الوقت نفسه تستطيع الزوج من أى إسرائيلي ترغبه الزوج منه .

بينما نجد نقطة أخرى وهى — بحسب رأى المشرعين — أن المتصر بعد يهودياً كاملاً إذا كان يبطن اليهودية بيته وبين نفسه ، وتسائل من أين لهم معرفة ما يدور في نفس الشخص حتى يتم الحكم عليه من هذا المنطلق !!؟

المبحث الثالث

واقع المارانوس المعاصر

إذا حاولنا تقصى الأوضاع الحالية ليهود المارانوس فإنه يتعين بنا أن نطرح عدة تساؤلات يمكن أن تحدد ماهية واقع هؤلاء اليهود المتصررين وتتحدد هذه التساؤلات فيما يلى :

هل ما زال يوجد على الساحة العالمية ما يعرف بهؤلاء اليهود المتصررين ؟

فإذا كانت الإجابة بنعم فماذا عن تنصر هؤلاء وما الفرق بينهم وبين مارانوس العصور الوسطى ؟ ثم ما هي الأسباب والدواعي التي تجعل يهود اليوم يتسبون للمسيحية ويؤدون الشعائر اليهودية سراً .

وتساءل : ما هو الهدف من حرصهم على سرية ممارسة شعائرهم اليهودية ونحن نعيش القرن الواحد والعشرين الذي ينادي بحرية العبادة لكل إنسان ، خاصة هؤلاء اليهود الذين يتباون مكانة قلبية بين الغربيين وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .

كما نتساءل ، كيف يمكن الحكم على هوية شخص يجمع بين منصب الحاخام اليهودي والبابا الكاثوليكي وما مدى قبوله من الجانبيين اليهودي والمسيحي .

الأمر الذي يجعلنا في حاجة إلى توضيح : مدى انتشار هؤلاء المتصررين في أنحاء العالم وما هي الديانة التي يتبعون إليها ؟ اليهودية أم المسيحية ؟ أم هي خليط بين كل منهما ؟ أم غط ديني جديد ينسخ ما قبله من عقائد ؟ .

ثم كيف نستطيع ان نوجه انتقامه هذه الجماعات اليهودية المتصررة طبقا لما سقناه خلال الدراسة هل يتعمون إلى الكنيسة الكاثوليكية التي عاشوا بين ملوكيها وحكامها ورجال بلاطها كمستخدمين لهم أم أنهم تابعين للبروتستانت أعداء الكاثوليكية الذين اتجهوا إليهم والانضموا إلى صفوفهم معلنين العداء لكل ما هو كاثوليكي .

والسؤال الأساسي هنا : ما هي أسباب ترحيب العالم الغربي بهؤلاء المارانوس ؟
ويلاحظ مما ذكرناه في ثانيا الدراسة أن الانتماء اليهودي الدينى والعقائدى لدى يهود المارانوس بدأ يزول تدريجياً من قلوب المتصررين أنفسهم نتيجة لطول فترات التخفي التي عاشوها في البلاد . حتى أصبح أداء العبادة في السر والخلفاء من الأمور المعتادة لدىهم في

الوقت الذى سُمح لهم بـ مزاولتها طبقاً لمبدأ حرية العبادة والذى أعلنته البرتغال عام ١٩١٠م، حيث اعتادوا عدم التصرّح بحقيقة عقيدتهم في إسبانيا والبرتغال وغيرهما من بلاد العالم .

وكما سبق القول فإنه نتيجة لمعاناة المارانوس اليهود تحت الحكم الكاثوليكي للبلاد ، فقد أثروا الانضمام إلى الحركات التوتيرية والمذهب البروتستانتي المعاكس للكاثوليكيَّة في العصور الحديثة . وشكلوا نُطِّاً من أنماط العلمانية بمفهومنا الحالى ، والتي تعلَى من شأن الجانب الديني على حساب الدين والعقيدة .

ومن ناحية أخرى فقد عارض المارانوس الخاصية اليهودية في تعصبه وتشددها وجحودها وفرضها الانعزال عن الأغيار حيث نادوا بالحرية الدينية وفصلها عن السياسية ، مما أدى إلى تقسيم يهود أوروبا إلى فرق وطوائف مختلفة حيث قصرت ايمانهم وعقائدهم على الجوانب النفسية والروحية وأهملوا الجانب الشعاعي^(١) . الأمر الذي أدى إلى اعتبار يهود المارانوس شكلاً من أشكال العلمنة التي تظهر في عدم الاعتراف بالدين ، وذلك بتوجيهه اهتمامهم بالدولة كنظام سياسي بعيداً عن المجال الديني . والمتاخرون من فقهاء اليهود اعتبروهم فرقة من الخوارج أو الجويسم^(٢) .

الانتشار المارانوس في أنحاء العالم :

انتشر المارانوس في معظم أنحاء العالم بعد طردتهم من إسبانيا حيث ذهبوا بأعداد كبيرة إلى سالونيک في تركيا وكانت هذه المدينة تمثل أكبر تجمع يهودي في تركيا وبعد وصول المارانوس إليها مثلوا أعداداً كبيرة تفوق كل اليهود المتواجدون فيها .

من ناحية أخرى ذهبت أعداد منهم إلى إنجلترا وأمستردام وهامبورج وهولندا وعاشوا في هذه البلاد ك مجتمع هامشية متزوج بين المسيحية واليهودية ، ترتبط بال المسيحية بالاسم فقط بينما تمارس اليهودية سراً على الرغم من تغير الأوضاع والسماح بحرية العبادة عام ١٩١٠م^(٣) .

(١) المسيري ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

(٢) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ٢٦٠ .

(٣) المسيري ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

ومن أشهر المدن التي يسكنها المتصرون اليوم مدينة "بورتو" ومدينة بلمنوت^(١) في البرتغال . ويطلق المارانوس على أنفسهم وذراعهم اسم المتصرين "אנוסים" أو أبناء المتصرين "בני אָנוֹסִים" حيث انتشر أبناؤهم في العالم فيوجد أعداد منهم في إسبانيا ، وجزء بالبرتغال وأعداد أخرى في البرازيل، والمكسيك ، وكولومبيا ، وإنجلترا وهولندا وغيرها من الأماكن التي تحكموا من الهروب إليها أثناء وقت الإبادة^(٢) .

وللاجابة على السؤال الأخير الذي سقناه آنفا حول أسباب ترحيب الدول الغربية بمؤلاء المتصرين اليهود فيمكن في الأمور الآتية :

أولاً : خبرة هؤلاء المارانوس في الأمور المالية والتجارية وقدرهم على تأسيس شركات تجارية رأسمالية كبيرة إضافة إلى تعاملاتهم في بورصات الأوراق المالية بكفاءة والتي ساعدت في تطوير وتحديث النظام الرأسمالي الغربي .

ثانياً : قدرهم على الاندماج في المجتمعات الدولية ، إلى جانب قدرهم على التجسس لصالح الدول التي يعيشون فيها .

ثالثاً : احتكارهم ب مجال التجارة الدولية واحتقارهم تجارة الرقيق وخاصة في مستعمرات البرتغال في أفريقيا .

رابعاً : تزامن ظهورهم في المجتمعات الغربية مع ظهور العلمنة في العالم الغربي حيث أدوا أدواراً أساسية في تحديث وعلمنة أوروبا .

خامساً : نقد المارانوس للحاخامية اليهودية وتعصبهما حيث يرون فيها صورة تتفق مع محاكم التفتيش ، مع إيمانهم القوى بشخصية المسيح مع تأكيدهم بأهليّة الإيّان الجرد غير الملائم بشرائع أو عبادات .

سادساً : اهتمام المارانوس بعقيدة القبالة اليهودية التي ارتبطت بالتصوف والترعة المسيحانية والتي تؤمن بشمولية الإنسانية وإسقاط الشرائع .

(1) تقع مدينة "بورتو" في الشمال الشرقي للبرتغال ، وكانت هذه المنطقة معروفة بعواجد كثيرة من المتصرين اليهود بها ، وتقع بالقرب منها مدينة "بلمنوت" التي كان يوجد بها طائفة من المتصرين اليهود الذين عادوا إلى اليهودية عن طريق دار قضاء كان يرأسها الراب مردخاي إيلاهو (he.wikipedia.org) .

(2) בירבובים אליהו. יהודי עולמי . תרבותה התשובה של הקצין הפורטוגזי

سابعاً : ارتباط المارانوس بالحركات التبشيرية اليهودية وأفكار مندلسون وإسيبيوزا التي تنادي باسقاط الشريعة والاحتفاظ بالجوهر الموسوى مع رفض كافة القيود الدينية . ثامناً : إعلاء المارانوس الجانب المادى والشفق الكبير في هذا الجانب الذى يوطد ويثبت أقدامهم أمام كل من يخالفهم .

وينقسم متتصرون إلى :

- متتصرون يعيشون كيهود بشكل سري ويمارسون التقاليد اليهودية في الخفاء ، ومؤمنون بيهوديتهم ويعملون على العودة إلى الحظيرة اليهودية .

- متتصرون يهود يحافظون على تقاليد يهودية معينة اعتادوا عليها مثل إشعال الشموع ، والزواج من داخل نطاق العائلة ، لكنهم لا يعرفون تفسيراً لما يفعلونه من عادات ولا يرون فيها أي نوع من الأفعال الدينية أو حق الانتقام لليهودية نظراً لأنهم مجتمعات غير يهودية .

- متهددون متتصرون آخرون ذرو هوية يهودية ، مؤمنون بيهوديتهم ، لكنهم لا يحافظون على الشعائر اليهودية ، ويترزجون من الخارج وهو ما يتنافى مع الشريعة اليهودية . وقد كان الوجود اليهودي في إسبانيا قد انتهى على نحو مفاجئ عام ١٤٩٢ عندما منح الملكان الكاثوليكيان فيرديناند وإيزابيلا ، ١٠٠٠٠ يهودي على الأقل مهلة ثلاثة أشهر ليتحولوا لاعتناق المسيحية أو يغادروا البلاد .

وعلى مدى أكثر من خمسة قرون ، حافظ اليهود من أصل إسباني على تراثهم القمافي بدءاً من لغة اللادينو وحق الأسماء والأغانى والأطعمة أو ألعاب الأوراق . بل إن بعض اليهود السفارديم احتفظوا بفاتح بيوت أسلافهم في إسبانيا ، وكان على العروسين أحياناً أن يوقعوا عقد زواج قديم يتعهدان فيه باحترام قوانين مملكة (قشتالة) الإسبانية .

ونجد أن نحو ٥٤ مليون يهودي من أصل إسباني يعيشون في بلدان مختلفة من بينها تركيا وأورجواي والولايات المتحدة .

ومن أبرز الشخصيات المتتصرة التي ظهرت في القرن العشرين ونادت بعودة المتتصرين إلى اليهودية ودافعت عن حقوق اليهود في أداء شعائرهم دون جر، آرثر كارلوس دي

بروش باسطو" אַדְתּוֹרָו קְרָלוֹס דָה בֶּרוֹשׁ בֵּסְטוֹ " ويعد رائد ثقovid المارانوس في القرن العشرين ١٨٨٦-١٩٥٩ كان ضابطاً في الجيش البرتغالي فترة الحرب العالمية الثانية ، وكانتاً معروفاً ، ولد لأسرة كاثوليكية، عاش فترة كبيرة من حياته ، ولا يدرى أنه يهودي الأصل — طبقاً لعادة المتصرين في إخفاء أصولهم اليهودية عن أبنائهم حتى سن البلوغ — وعندما كبر باسطو كشف له جده أصله اليهودي ، ومنذ ذلك الحين بدأ الضابط الصغير يبحث عن جذوره اليهودية وبعد ثقovid ، حول اسمه إلى "أفراهام بن هاروش" אַבְרָהָם בֶן הַרְאָשׁ " .^(١)

وقد بدأت علاقة باسطو بالطائفة اليهودية في مدينة لشبونة التي كانت تمارس الشعائر اليهودية سرًا^(٢) ، واتصل بأخوانه اليهود الذين انتشروا في مدن "بورتو" و"بلمونت" وظلوا يحافظون على ممارسة شعائرهم اليهودية بشكل سري بين أهالي هذه القرى والمدن^(٣) . وحتى يتحقق باسطو مهمته في دعوة المتصرين للعودة إلى اليهودية ، كان يذهب إلى تلك القرى لزيارة هؤلاء المتصرين ، ويعلن لهم الفرصة في التوبة ، ويوصيهم بضرورة الختان^(٤) . وقد شمل برنامج باسطو متصري البرتغال زياراته للقرى وقيامه بعمليات ختان للمتصرين كعمل أولي للعودة إلى اليهودية .

ومن أهم أعماله في هذا المجال إنشاؤه معبداً يهودياً ليكون قاعدة أساسية، وبنية روحانية ودينية لكل المتصرين في المنطقة .

وقد قامت بعض العائلات اليهودية الشرية بدعم باسطو مالياً من أجل تنفيذ مهمته ومنها عائلة "قدوري" المشهورة في "هونج كونج" حيث قامت بتمويله لبناء المعبد الكبير الذي تم الافتتاح عام ١٩٣٨م، وأطلق عليه ماكور حاييم "מקור חיים" أي منبع الحياة ، ويضم مغطساً للتطهر، وعدداً من الكتاتيب للدراسة بالمدرسة الدينية التي التحق بها عشرات

(١) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי كان من عادة اليهود المتصرين لا يكشفوا لأبنائهم أصولهم اليهودية حتى يكروا ، وذلك ليتصرفوا بشكل طبيعي ولا يتشكك أحد في هويتهم .^(٢)

(٣) نفسه .

(٤) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי

(٥) المرجع نفسه .

اللاميذ. وعبرور السنين أصبح هذا المعبد مركزاً مهمّاً لأنشطة اليهود المتصرين في المنطقة، كما قام باسطو بتأسيس جريدة باسم هلفيد "הַלְפִיד'" أي المشعل ، كتب فيها عشرات النشرات الدورية لتعليم اليهودية^(١) .

وعندما ذاع صيت باسطو ونشاطاته من أجل عودة المتصرين لذورهم اليهودية، وتأثيره على آلaf الموطنين في المنطقة ، قامت الكنيسة بمحاوله لإبعاده باقامة بالشذوذ الجنسي ، الأمر الذي يدل على استمرارية تعقب الكنيسة لكل من يحاول إعادة المتصرين إلى اليهودية، وعلى الرغم من تبرئته من كل المحاكمات التي أجريت له ، إلا أنه تم عزله من الجيش البرتغالي ، مما أدى وبالتالي إلى وقف نشاطه ، كما توقف نشاط غيره من المتصرين في ذلك الوقت عن العودة لليهودية خوفاً من مهددات الجيش والكنيسة^(٢) .

وينادي بعض اليهود بشرعية عودة المارانوس إلى الخطيرة اليهودية ويشعرون انضمامهم إلى إسرائيل هدف الاستفادة من قوهم ونفوذهم وثروتهم .

ومن ناحية أخرى عارض بعض حاخامات اليهود هؤلاء اليهود المتصرين وذلك بسبب اندماجهم في مجتمعات غير يهودية لفترات طويلة من الزمان أدت إلى إبعادهم عن دياناتهم الأصلية، بالإضافة إلى دخول أفكار تحررية سيطرت عليهم تبادل بآباء الدين عن الدولة ، وطالب بتوجه علماني يسعى إلى التحديث بعيداً عن الدين ، وقد اعتبر عدد من الحاخamas أن هؤلاء المارانوس يشكلون خطراً على المفاهيم اليهودية الأصلية والفكر الديني.

ولم يكن رفض حاخامات اليهود للمارانوس بأقل من رفض المارانوس للحاخامات ؛ حيث أخذ المارانوس على الحاخامية اليهودية التعلب الشديد .

ونجد اليوم تصاعداً في الدعوة إلى تجميع تلك الفئات إلى العودة إلى اليهودية والمجتمع الإسرائيلي ، هدف تقوية وتعزيز المجتمع ، وأيضاً للاستفادة من نفوذهم المالي والتجاري واستثمار ثرواتهم .

وما لا شك فيه فإنه بانتهاء فترة العصور الوسطى ، وما جرت فيها من أحداث ، فقد أصبح المارانوس - نتيجة لاندماجهم ومعايشتهم الطويلة في بلدان مختلفة في الأصول

(1) בירבובים אליהו. יהודי ערלמי . תרערע התשובה של הקצין הפורטוגזי

(2) المرجع نفسه .

والعقالد والجنسيات - يمثلون جماعات منعدمة الهوية وفقاً لصالحهم ، حيث لا انتماء عندهم لدين أو شعب أو أصل نتيجة لأنهم جنهم كلّياً وجزئياً بالمجتمعات الأخرى ، خاصة الأوربية ، والدليل على ذلك اختيارهم البقاء بمحض إرادتهم والإقامة في الأوساط الأوربية على الرغم من الحرية والتشريعات التي أعلنتها منظمات حقوق الإنسان في العالم واحترام حرية العبادة والمعتقدات الدينية أيّاً كانت ، وهنا يتضح لنا التباين بين مارانوس اليوم ومارانوس العصور الوسطى فمارانوس العصور الوسطى يمكن أن يدخل بعضهم في إطار المخبر أو المضطرب للدخول المسيحية في ظل الاضطهاد والإجبار تحت وطأة محاكم التفتيش ، أما اليوم فما معنى وجود عناصر يهودية متنصرة لازالت تمارس شعائر اليهودية في الخفاء ؟ !! الأمر الذي يؤدى بنا إلى القول بأنهم يمثلون جماعات مارقة خارجة عن أصولها اليهودية.

الخاتمة

في ختام الدراسة لطوائف "مارانوس" اليهود المتنصرين التي ظهرت في إسبانيا ، ثم انتشرت في أرجاء العالم مكونة حركات مسيحية يهودية علمانية متحررة تخلص بمجموعة من الاستنتاجات للحكم على هذه الجماعة وتشمل العوامل التالية :

- كان الحصول على المنافع والمصالح الشخصية واعتلاء المناصب في البلاط الملكي سبباً في تخلي اليهود عن معتقداتهم وديانتهم الأصلية .

- نجحت طوائف المارانوس "اليهود - المسيحيون" في التغلغل وسبر أغوار المجتمعات الإسبانية والبرتغالية ، والغربية عموماً . حيث خلقو قواسم مشتركة مع الحكومات الرسمية في هذه البلدان بالاعتماد عليهم في مجالات التخابر والجاسوسية لصالح تلك البلدان . وفي المقابل حقق الملوك والحكام الكاثوليك الاستفادة المطلوبة من هؤلاء اليهود باعتبارهم أجراء يحققون طموحاتهم ومصالحهم ورغباتهم سواءً كانت شخصية أو سياسية دولية . حتى إذا ما وصلوا لنهاية تحقيق رغباتهم فكان نبذهم وإبعادهم وطردهم هو أسلم الطرق للتخلص منهم .

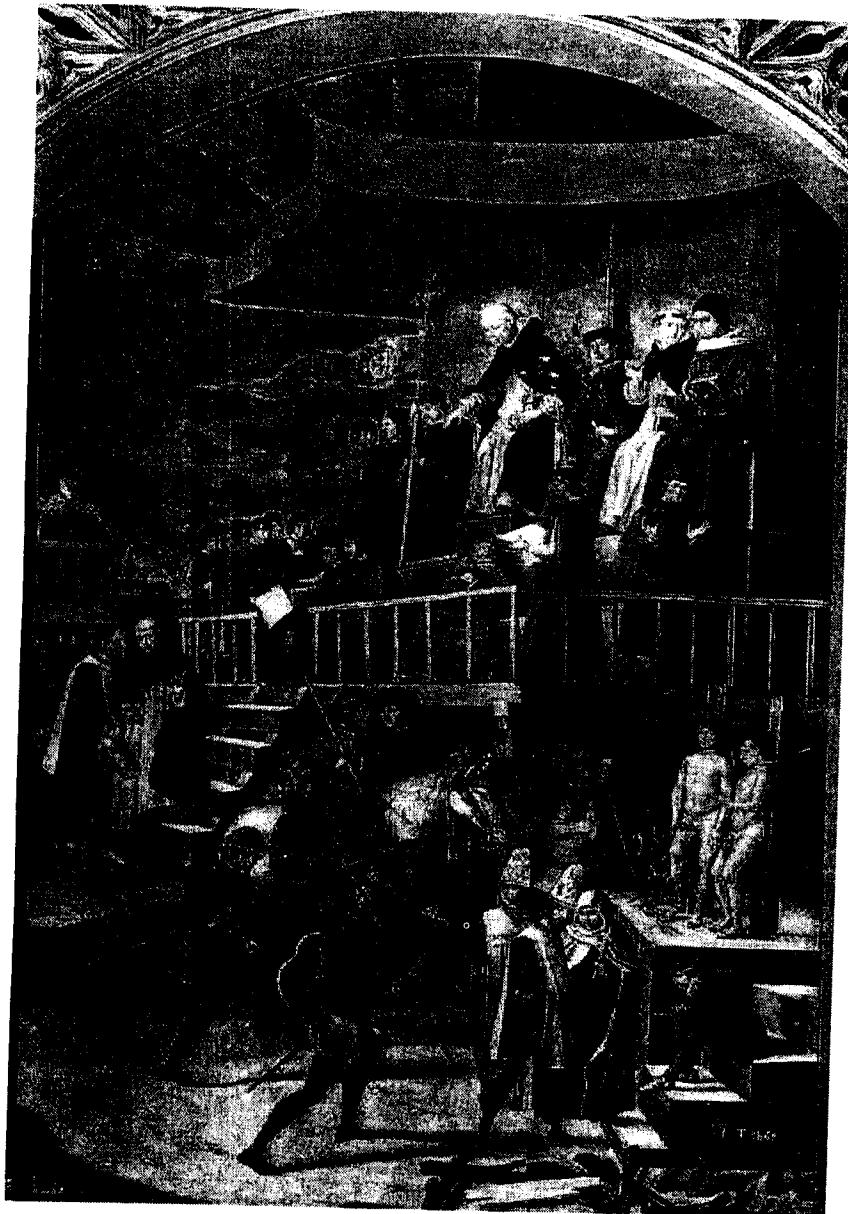
- أدى النفور الاجتماعي والسياسي لجماعات المارانوس اليهودية في المجتمعات المسيحية إلى تحولهم إلى جماعات ضغط على النظام السياسي الحاكم في هذه البلاد .

- أثبتت الطبيعة المزدوجة لدى المارانوس ، المتأرجحة بين المسيحية واليهودية ، الفصاماً في الهوية الدينية ووضحت من خلال ممارساتهم الشعائر المسيحية في الكنائس وأداء شعائرهم اليهودية سراً في المنازل والمعابد السرية .

- استطاع المارانوس عن طريق تسخير وسائلهم المالية من تجارة واستثمارات وجباية الضرائب وامتلاك الثروات في التسلل إلى داخل البيوتات الحاكمة حاصلين على أعلى المناصب داخل البلاط الملكي . فكانوا أول من أنشأوا شركات مالية واستثمارية عابرة للحدود مصاحبة أفكاراً دينية حديثة متحررة من كل قيد .

- سهلت عمليات اندهاجهم في المجتمعات الغربية تطور لاستثماراً لهم للأموال عن طريق التجارة الدولية والأعمال المصرفية التي تفوقوا فيها على حساب البلدان التي عاشوا بين جانبها خاصة المجتمع المسيحي .
- أوضحت الدراسة قدرة اليهود المتتصرون على المراوغة وإخفاء ممارسة عقائدهم الأصلية بعيداً عن الأعين ونجاحهم الإفلات من تعقب الحكم مع إظهار التمسك بالمسيحية.. كل هذا مكتنهم من الانتشار في المجتمعات الخارجية والاتصال بنويعهم في أنحاء العالم .
- التغلغل داخل البلاط الملكي والنفوذ المالي والتجاري ، وأساليب إخفاء العقيدة ، ساعد المارانوس على اتصالهم بنظراء لهم في مختلف أرجاء العالم بهدف تقوية المصالح والمنافع المتبادلة وفتح منافذ للاقتصاد اليهودي .
- معاداة النخب اليهودية القوية منهم لأبناء جلدتهم أدت إلى تبوئهم مناصب ومراكز كبيرة داخل المجتمع المسيحي فكان منهم الأسقف والكاهن والمعلم . ونحوذج ذلك يظهر من خلال شخصية باول دي سانتا ماريا - ذلك الحاخام اليهودي والأسقف المسيحي !! الذي خان أبناء دينه، وغيره غاذج كثيرة لشخصيات يهودية متصرفة، حارت أهلها وأبناء دينها وجلدهما وصولاً لتحقيق عطف وعطاء الحكومات ، حتى وإن أدى الأمر في سبيل ذلك إلى التضحية باليهود أنفسهم وإعمال المذابح فيهم .
- كانت أعنف الضربات التي لحقت باليهود المتتصرين من قبل محاكم التفتيش على أيدي عدد من حاخامتات يهود ؛ تصرعوا !! وأصبحوا كهنة وقساوسة مسيحيين .
- كانت المنح والعطايا والرشاوي والوشایة هي الأساليب التي استخدمتها المارانوس تحقيقاً لأهدافهم في التغلغل في المجتمعات غير اليهودية .
- أثبت التماذج بين فكر المارانوس وجماعات الشباشبية (الدوغة) والفرانكية المتحولين عن دينهم وحدة الفكر القائم على المداراة والتخفى واستغلال المجتمعات الخارجية والتسليل لأنظمتها سياسياً واجتماعياً تحقيقاً لأغراضهم .
- مثل المارانوس ظاهرة يهودية ذات أنساق مسيحية غير مؤكدة مزدوجة الفكر والعقيدة تحمل في طياتها فكراً لا ينتمي إلى هوية دينية محددة .

- عكس انضمام المارانوس للحركات التبشيرية والبروتستانية المعادية للكاثوليكية ، وكذا الحركات المسيحانية المعاصرة مفهوماً جديداً للتعايش مع الآخر قوامه الإيمان المجرد غير العابء بالدين خدمة مصالحهم وأهدافهم .
- مثلت جماعات اليهود المارانوس طليعة الجماعات الممارسة للبيالية التحريرية فكراً وعملاً من خلال إعلاء الفردية على حساب الدين والدولة باعتبار أن الحرية لا يحدوها قوانين أو معتقدات .
- نجع عن الأفكار التحريرية التي نادى بها المارانوس إلى اتخاذهم شكلاً من أشكال العلمانية التي تعلي من شأن الدولة على حساب الدين .
- أظهر انضمامهم للحركات التبشيرية والبروتستانية المعادية للكاثوليكية تذبذب شخصيتهم وعدم القدرة على الانتفاء لأى معتقد .
- تأرجحت آراء المشرعين اليهود بين قبول اليهود المتنصرين باعتبارهم مواطنين يهود، وبين رفضهم باعتبارهم خارجين عن الدائرة اليهودية ، رغبة في استقطاب العناصر اليهودية المتنصرة ، وجمعها داخل بوتقة دولة إسرائيل لاعتبارات قومية سياسية واقتصادية .
- قدرة المارانوس على الاندماج والتعايش مع الديانات والمذاهب المغايرة واحتلاطهم بعادات واغاثات مختلفة ورفعهم شعار الإيمان المجرد غير العابئ بأمور الدين والشرع ، والرافض للجمود والتعصب الذي رموا به الخاخامية اليهودية . الأمر الذي يستدعي دعوهم بـ "الجماعات المارقة" أو الخارجة عن الديانة اليهودية ، كما يمكن اعتبارهم جماعات يهودية ذات أسواق مسيحية غير مؤكدة ، مذبذبين لا من هؤلاء ولا هؤلاء .



صورة توضح إحدى جلسات محاكم التفتيش

المصادر والمراجع

المصادر العربية

أولاً المصادر :

القرآن الكريم

الكتاب المقدس ، العهد القديم والعهد الجديد - مترجم من اللغات الأصلية - دار الكتاب المقدس - القاهرة - الطبعة الرابعة ٢٠٠٦ - الإصدار الثالث .

ثانياً المراجع العربية :

١. النعيمي : أحمد نوري ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار البشير ، الأردن ، ١٩٩٧ م .

٢. إسبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم حسن حنفى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

٣. برترن : يواكيم ، بابوات من الحى اليهودى ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، دار حسان ، ١٩٨٣ م .

٤. حдан : جمال ، اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية ١٦٩ ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، شباط - فبراير ، ١٩٦٧ م .

٥. درويش : هدى ، العلاقات التركية اليهودية ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠١ م .

٦. درويش : هدى، حقيقة يهود الدونما في تركيا وثائق جديدة ، دار عين، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

٧. فلاح : سلمان ، تاريخ العرب ، وزارة الثقافة والمعارف اليهودية ، أورشليم ، ١٩٦٥ م .

٨. سوسة : أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٧ ، دمشق ، بدون تاريخ .

٩. الشامي : رشاد ، الرموز الدينية اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، عدد ١١ ، ٢٠٠٠ م.
١٠. الشامي : رشاد، جولة في الدين والتقاليد اليهودية ، مكتبة سعيد رافت القاهرة ، ١٩٧٧ م.
١١. الشامي : رشاد ، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ٢٠٠٣ م.
١٢. ظاظا : حسن : الفكر الديني اليهودي ، دار القلم دمشق، ١٩٩٩ م.
١٣. الشناوى : عبدالعزيز: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ .
١٤. عبدالمجيد : محمد بحر، اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠.
١٥. عجاج نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٦ م.
١٦. كاسترو : أميركو ، إسبانيا في تاريخها ، ترجمة على إبراهيم منوف ، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م.
١٧. محمود : أمين عبدالله ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت، عدد ٧٤، فبراير ١٩٨٤ م.
١٨. المسيري : عبدالوهاب ، اليد الخفية ، دار الشروق ، ١٩٩٨ م.
١٩. المسيري : عبدالوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ٧ مجلدات ، دار الشروق القاهرة ١٩٩٩.
٢٠. مكاريوس : شاهين ، أربع كتب في الماسونية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٤ م.
٢١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف مانع بن حماد الجهجي ، ط ٤ ، دار الندوة العالمية للطبع والنشر والتوزيع ، الرياض، ١٤٢٠ هـ .

٢٢. ناظم : مني ، المسيح اليهودي ، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر دولة الإمارات العربية المتحدة ، أبو ظبي ، سلسلة ثقافية قومية ، نحن وهم .

٢٣. دبورانت : ويل ، قصة الحضارة : ترجمة محمد بدران بيروت ، تونس .

ثالثاً المراجع العربية :

١. تورה بناءيم כתובים והברית החדשה התנ"ך על פי האמזרה בכתב יד לנינגרד הכהדרה השלישית של ביבלייה הבראיקה שטוטדרטנסיה . ההברה לכתבי הקודש . ירושלים ١٩٩١.

٢. ש' אברמסון ، פירוש רבנו חננאל לתלמידו ، ירושלים תשנ"ה .

٣. א' אשטור ، קורות היהודים בספרד המוסלמית ، ירושלים ١٩٩٠ .

٤. בן-שווין ، צמיחת הקהילה היהודית בארץ האסלאם ، ירושלים תשנ"ו .

٥. ר' דרורי ، "הקשר הסמוני מן העז"ן: על תוצרים ספרותיים של מפגש תלת-תרבותי בימי הביניים" ، מעמים מו-מז (תשנ"א) .

٦. המلون החדש הוצאה קריית ספר ירושלים ١٩٨٠ ، מzn .

٧. האינציקלופדיה העברית כרך רביעי . הוצאה ספרית פועלם 1988.

٨. האינציקלופדיה היהודית "דעת" . ערך אינקווייזיציה ، אותו דה פה .

موقع الكترونية عربية :

١- **סיכום (الיהודים في إسلام لغيرهم) عيمات بين مسلمين لنصرة** www.tzafonet.org.il

٢- www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp

٣- ليسك. رבקה شפק (د"ر). لكتيم הסטוריים . יהדות סודית בצל האינקווייזיציה . www.omedia.co.il

٤- بيرنبويم اليهو. يهودي عولمي . تجربة التشبّه شل הקץ הפורטוגזי . www.makorrishon.co.i .

٥- כהנוב עוז (ד"ר) המכלה האקדמית אהבה. מעוף ומעשה

1996.5-1996.

٦- אונסים ושבתאים האופצייה שך דתיות קריזטית.

. web.macam.ac.il

٧-אליאב שוחטמן. מגדם ההלכתי של האונסים לאור ספרות

httsp://www.daat.ac.il . שנת תשנ"ג

رابعاً المراجع الإنجليزية :

(مجمع تركى)

- A.R. Kucuk, Donmeler Tarihi, Ankara, 1
1992

2 - Episten, l: Judaism : A Historical presentation, penguin
.1974Books, London,

. Vols, Translated by Harry Sperling & Maurica 53 -The Zohar,
Simon, The soncino press, London, Jerusalem, New York,
.1970reprinted

- S. Balakrishman : introduction to Hindu Religion, printed 4
at Mehta offset works, New delhi.

- Seltzer, R.M.: Jewish people Jewish Thought, Collier 5
.1980Macmillan publishers, U.S.A.

الكاتبة في سطور

دكتورة هدى درويش

- الأستاذ المساعد ورئيس قسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية -
جامعة الزقازيق.
- حاصلة على ليسانس الآداب في جامعة عين شمس قسم اللغات الشرقية - فرع اللغة
العربية بتقدير جيد جداً .
- حاصلة على جائزة أحسن رسالة دكتوراه في جامعة الزقازيق لعام ٢٠٠١ -
٢٠٠٢ .

- شغلت منصب المدير التنفيذي لمركز بحوث العالم التركي بالقاهرة عشر سنوات
١٩٩٠ - ٢٠٠٠ م).

المؤلفات العلمية :

- الإسلاميون وتركيا العلمانية - دار الآفاق العربية ، القاهرة ١٩٩٨ م .
- العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٢ م.
- أفغانستان بين السلام وال الحرب ، سلسة كتب التصوف الإسلامي ، الكتاب ٤٨ ، ينایر
٢٠٠٢ م .
- حقيقة يهود الدولة في تركيا ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز عين للدراسات ، القاهرة،
٢٠٠٤ م .
- حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية ، عين للدراسات القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- الصلاة في الشريائع القديمة والرسالات السماوية عين للدراسات ، ٢٠٠٦ م .

الأبحاث والدراسات :

- المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية وتأثيره على السلطة الحاكمة في تركيا ، مجلة
الآداب - جامعة الزقازيق ، نوفمبر ٢٠٠٩ م .

- ترکیا بين التأثیر اليهودي والواقع العربي في الماضي والحاضر والمستقبل .
 - السلوك الاقتصادي في حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام .
 - الآسيوية في الفكر الديني اليهودي ، دراسة في الشأة والعقائد .
 - البعث في العقيدة اليهودية (دراسة في فكر موسى بن ميمون) .
 - إدريس عليه السلام بين الروايات اليهودية والتفسيرات الإسلامية .
- لها العديد من المقالات في المجالات والصحف العربية والدولية المختلفة وشاركت في العديد من المؤتمرات الخالية والعالمية .



المحتويات

٥	مقدمة
٩	تعهيد : جذور التنصر اليهودي في الأندلس
	الفصل الأول
١٩	المارانوس اليهود ومعضلة التحول إلى المسيحية
٢٠	المارانوس لغة واصطلاحاً
٢٢	المبحث الأول : آليات القوة اليهودية في إسبانيا والبرتغال
٢٣	- قوة اليهود على المستوى السياسي في الأندلس
٢٥	- القوة الاقتصادية لليهود في إسبانيا والبرتغال
٣١	- القوة الاجتماعية لليهود في إسبانيا
٣٦	المبحث الثاني : ردود الأفعال الرسمية والشعبية تجاه المتنصرين اليهود
٣٧	- الممارسات اليهودية المناهضة للمسيحية
٤٠	المبحث الثالث : محاكم التفتيش والتحول القسري إلى المسيحية
٤١	- موقف الملك (فرديناند) والملكة (إيزابيلا) مع يهود إسبانيا
٤٤	- محاكم التفتيش في إسبانيا
٤٦	- أنواع المحاكم
٤٧	- أنواع العقوبات
٤٨	- محاكم التفتيش في البرتغال
٤٨	- ممارسات محاكم التفتيش ضد المارانوس اليهود
	الفصل الثاني
٥٣	المارانوس بين الظاهر المسيحي والباطن اليهودي
٥٤	المبحث الأول : ممارسة المارانوس الشعائر المسيحية
٦٢	المبحث الثاني: أساليب المارانوس في ممارسة الشعائر اليهودية
٦٣	- عقيدة المارانوس في قドوم المسيح אַמְוֹתָה בְּבוֹא הַמֶּשִׁיחַ
٦٤	- كيفية تطبيق المارانوس لطقس اختنان
٦٥	- الحافظة على شعائر السبت
٦٦	- المارانوس والابن البكر
٦٧	- صرية الاجتماع للصلة הטעננותות לתפילה

- محافظة المارانوس على شرائع الطعام في اليهودية
- ٧٠
- إجراءات الزواج נישואין
- ٧١
- عادات الدفن والعزاء
- ٧١
- ممارسة المارانوس للأعياد اليهودية
- ٧٢
- وسائلمحاكم التفتيش في كشف تحفى المتصرين
- ٧٨
- المبحث الثالث : النخب اليهودية بين المعارضه والتأييد
- ٨٢
- أولاً : المتصرون المناهضون لليهود في إسبانيا والبرتغال
- ٨٣
- ثانياً : غاذج الشخصيات المتصررة التي دافعت عن اليهود ولم تُنصح هويتها الدينية :
- ٨٧
- الفصل الثالث**
- ٨٩
- معضلات الدمج والنبذ بين المارانوس ونظرائهم
- ٩١
- المبحث الأول : علاقة المارانوس بالحرّكات اليهودية المسيحانية
- ٩١
- أولاً : علاقة المارانوس بالشبيتين (الدوغمة)
- ٩٥
- ثانياً : المارانوس والفرانكية
- ٩٨
- المبحث الثاني : موقف الحاخامية اليهودية والشرائع من المارانوس
- ٩٨
- موقف المتصرين اليهود من الشرائع اليهودية
- ٩٩
- موقف التشريع اليهودي من زواج المتصرين
- ١٠١
- المتصرين في أدب الأسللة والأوجوه الخاصة بالشرع
- ١٠٤
- شرعية عقود الزواج للمتصرين اليهود
- ١٠٥
- صلاحية شهادة المتصرين في رأي المشرعين اليهود
- ١٠٩
- المبحث الثالث : واقع المارانوس المعاصر
- ١١٧
- الخاتمة
- ١٢١
- المصادر والمراجع

٢٠٠٨/٧١٤١ رقم الإيداع

I.S.B.N. 977-322-235-9 الترقيم الدولي

مطبعة صحوة

٧ شارع إسماعيل رمضان - الكوم الأخضر - فيصل

تلفون وفاكس / ٣٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠٠٩٦٧٨